رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم
ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون
العدد (1833) السنة السابعة
الاثنين (28) حزيران 2010

90 عاما
ثورة العشرين

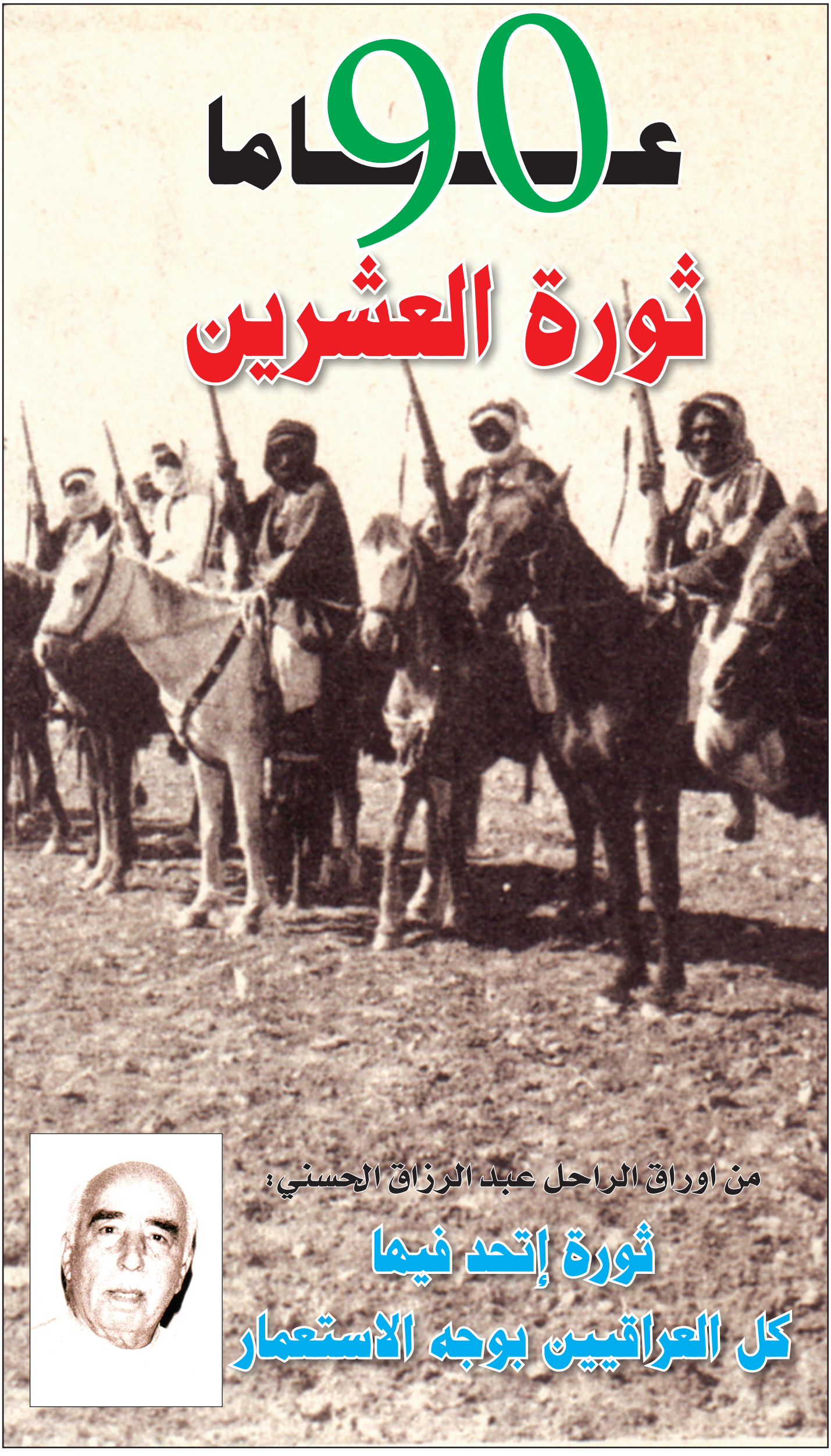

من اوراق الراحل عبد الرزاق الحسني:

ثورة إتحد فيما كل العراقيين بوجه الاستعمار

8

ثورة العشرين
الأسباب والنتائج

في ذكرى ثورة 30 حزيران 1920

ثورة العشرين

د. حامد الحمداني

لم يكد يمضي وقت طويل على الاحتلال البريطاني للعراق في أواخر عام 1914حتى تكشفت كامل الأهداف الاستعمارية لبريطانيا، وتصميمها على إدامة هيمنتها على العراق ، فقد أصدرت عصبة الأمم ، التي كانت تهيمن عليها بريطانيا ، صك الانتداب البريطاني على العراق ، في 17 حزيران 1920، والذي جاء فيه :
حيث أن حكومة جلالته قد تقررت وكالتها في خصوص العراق ، فنتوقع جعل العراق مستقلاً ، تضمن استقلاله ضمن جمعية عصبة الأمم ، وتكليف الحكومة البريطانية بالمسؤولية في حفظ السلم الداخلي والأمن الخارجي ، وبعد انقضاء الإدارة العسكرية سنعطي السلطة للسير <بيرسي كوكس> لتنظيم مجلس شورى تحت رئاسة عربي .
وهكذا كشف صك الانتداب الأهداف الحقيقية للسياسة البريطانية ، وأثار صدوره موجة غضب عارمة لدى فئات الشعب كافة العراقي كافة التواق للحرية والانعتاق من العبودية ، وأخذ شرر ذلك الغضب ينذر بوقوع أحداث جسيمة.

كانت اجتماعات قادة التحرر الوطني في تلك الأيام تتوالى في المساجد والدواوين ، في بغداد والحلة والنجف وكربلاء وغيرها من المدن العراقية ، كما كانت الاتصالات مع رؤساء العشائر تجري على قدم وساق ، وأجراس الثورة تدق ، وأصواتها تتعالى شيئاً فشيئاً لتملأ أسماع العراقيين جميعاً ، فيما كان المحتلون البريطانيون يزدادون هستيرية وعنفاً في قمع نشاطات الوطنيين ، حيث منعوا [المواليد] التي كان يجتمع خلالها الناس ، وتلقى الخطب الوطنية فيها . فقد أصدر القائد العام البريطاني قراراً في 12 آب 1920 بمنعها ، وأنذر بإنزال أشد العقوبات بحق المخالفين ، وأقرن القائد أمره بالأفعال ، فأقدم على إعدام ستة من المناضلين الوطنيين ،لتحديهم القرار،وهم كل من الشهداء :

1 . سليمان أحمد 2 . حسين أحمد 3. محمد سلمان 4 . صالح محمد 5 . أحمد عبد الله 6 . سامي محمود . وقد عرف هؤلاء الشهداء بمواقفهم البطولية، وجرأتهم في تحدي الاحتلال البريطاني ، وأدى إعدامهم إلى هياج الرأي العام العراقي، ودفعهم إلى التظاهر ضد الاحتلال الغاشم . كما رفع المشاركون في التظاهر مذكرة للسلطات البريطانية تضمنت جملة من المطالب كان منها :

1 . تأليف مؤتمر يمثل الشعب العراقي ، ليقرر شكل الإدارة الوطنية وعلاقاتها بالدول الأجنبية .

2 . إطلاق حرية الصحافة والمطبوعات ، ليستطيع الشعب التعبير عن آماله وتطلعاته الوطنية .

3 . رفع الحواجز البريدية ، والبرقية بين أنحاء البلاد ، وبينها وبين الأقطار الأخرى.

كان الشعب العراقي في تلك الأيام ينتظر مَنْ يطلق الطلقة الأولى ، لتنبعث شرارة الثورة إلى شتى أنحاء العراق ، بعد أن أقدمت قوات الاحتلال على اعتقال الشيخ [شعلان أبو الجون] المعروف بعدائه للاحتلال ، وسبب اعتقاله هيجاناً كبيراً في صفوف العشائر .

انطلاق ثورة العشرين :

صمم أبناء العشائر على إطلاق سراح الشيخ شعلان ،وتحدي قرار المحتلين باعتقاله، فانطلقت عشائر الرميثة تهاجم السجن الذي أودع الإنكليز فيه الشيخ شعلان ، وتم تحريره من الاعتقال ، وكانت هذه العملية إيذاناً ببدء اشتعال نار الثورة ، وبدء المعارك بين الشعب العراقي والمحتلين.

ففي مساء يوم 6 تموز 1920 توجهت قوة عسكرية بريطانية تضم 2000 ضابط وجندي بقيادة الكولونيل [دي مارفين] نحو الرميثة ،التي سيطرت عليها قوى الثورة في محاولة لفك الحصار عن القوات البريطانية المتواجدة هناك ، فكانت [معركة العارضيات] التي يفتخر بها أبناء العشائر الثائرة والشعب العراقي كافة ، حيث لم تستطع القوات البريطانية من الوصول إلى[الرميثة]، نظراً للمقاومة الباسلة التي واجهتها تلك القوات ، حيث تم إيقافها على بعد 7 كيلومترات منها ، بعد معركة دامية دامت 17 ساعة متواصلة ، استبسل فيها أبناء الشعب ، واضطر قائد الجيش البريطاني إلى التراجع والانسحاب نحو الديوانية .

لكن تلك القوات لم تستطع الوصول إلى الديوانية، حيث جوبهت بقطع الطريق عليها وقلع السكة الحديدية التي كانت القوات البريطانية تستخدمها في الانسحاب، وجوبهت بوابل من الرصاص من قبل العشائر الأخرى التي هبت لدعم الثورة في الرميثة ،وهرب قائد الحملة البريطانية لينجو بنفسه ، تاركاً قواته تحت رحمة الثوار الذين استطاعوا قتل أعداد كبيرة منهم ، وتم أسر من بقي منهم على قيد الحياة، واستولى الثوار على جميع أسلحة القوة البريطانية ، وقد بلغ عدد القتلى البريطانيين زهاء 260 فرداً .

ولما بلغ الأمر إلى قائد القوات البريطانية [الميجر ديلي] أمر بإعداد قوة أخرى قوامها 5000 ضابط وجندي مجهزين بكامل المعدات الحربية ، واستعدت قوى الثورة للمعركة القادمة ، وأخذت تنظم صفوفها ، وترتب استحكاماتها ، وتحفر الخنادق في منطقة العارضية ، على بعد 7 كم من الرميثة استعداداً لمجابهة قوات الاحتلال الجديدة بقيادة [الميجر كونتنكهام]، حيث وصلت تلك القوات إلى[الحمزة] في 16 تموز 1920، تحت غطاء جوي من الطائرات الحربية، أبدى الثوار مقاومة باسلة ، منقطعة النظير ، وانزلوا بقوات الاحتلال. خسائر فادحة في الأرواح والمعدات .

وامتد لهيب الثورة إلى [الرارنجية]، التي ضربت مثلاً رائعاً في البطولة والفداء، وقامت قوات الثورة بمحاصرة مدينة الكوفة في أواخر شهر تموز 1920 من جميع أطرافها ، مشددين الضربات على القوات البريطانية المحاصرة فيها ، والتي أصبح موقفها في غاية الاحراج ، وطلبت النجدة من القائد البريطاني في الحلة، الذي أسرع إلى إرسال قوات كبيرة لفك الحصار عن القوات المحاصرة في الكوفة .

تقدمت القوات البريطانية باتجاه المدينة حتى وصلت إلى [الرارنجية]، التي تبعد 12 كم عن مدينة الحلة ، و8 كم عن [الكفل] وعسكرت هناك .

واستعد الثوار لملاقاة القوات البريطانية في منطقة الكفل ، وقسموا قواتهم إلى قسمين، قسم أخذ مواقعه على طرف شط الهندية

الشرقي ، والقسم الثاني أخذ مواقعه على امتداد سكة القطار التي تربط الحلة بالكفل ، وكانت قوات الثورة،مدفوعة بإيمانها بعدالة قضيتها ، قد عقدت العزم على التصدي لقوات الاحتلال المدججة بشتى أنواع الأسلحة والمعدات الثقيلة ، وهي لا تملك سوى الأسلحة الخفيفة ، من بنادق قديمة ومسدسات وفؤوس ومكاوير، ولكنها كانت تملك الأيمان بعدالة القضية التي تناضل من أجلها ، والإصرار على التحرر من ربقة الاستعمار الجديد ، فيما كان الجنود البريطانيون الذين أتعبتهم الحرب يحاربون من أجل ملء جيوب الرأسماليين الإمبرياليين.

كانت ثلة من الجنود البريطانيين برشاشاتهم الثقيلة قد أخذت مواقعها واستحكاماتها عند قنطرة على [قناة الرارنجية]، وعندما أزفت ساعة الهجوم ، انقضّت قوات الثورة على القوات البريطانية عند الجسر، وما هي إلا برهة حتى وقع الجسر في أيديهم ، فيما التحمت قوات الثورة من الجهتين مع القوات البريطانية في معركة شرسة ومتلاحمة بحيث تعذر على قوات الاحتلال استخدام المدافع في القتال ، وكانت المعركة تجري بالبنادق والسيوف والفؤوس والمكاوير، وكان الثوار يرددون الأهزوجة الشعبية المشهورة الطوب احسن، لو مكواري ،فقد تغلب المكوار على السلاح البريطاني ، واندحرت قوات الاحتلال ، وهرب قائد الحملة تاركا جثث المئات من أفراد قواته في ارض المعركة .

وفي الوقت الذي كانت قوات العشائر في الجنوب تخوض المعارك ضد المحتلين ، كان رصاص الثوار في كردستان ينطلق بغزارة ضد المحتلين هناك ، فقد هب ثوار كردستان بوجه المحتلين ، ووقعت بين الطرفين معارك شرسة في [السليمانية وعقره وكفري].

وتمكنت قوات الثورة في [كفري] بقيادة [إبراهيم خان] في أواخر تشرين الأول 1920 من الاستيلاء على المدينة وتحريرها من سيطرة قوات الاحتلال ، وقتل القائد البريطاني [جاردن] ، واستمر لهيب المعارك ضد المحتلين في المنطقة 23 يوماً ، قبل أن تتمكن القوات البريطانية التي وصلتها نجدات جديدة من إعادة احتلالها .

لقد امتد لهيب الثورة إلى كل بقاع الوطن ، وانغمر فيها عدد كبير من رجال الدين ، وشيوخ العشائر والمثقفين ، والعمال ، والفلاحين الشجعان الذين كانوا عماد الثورة، وكانت الثورة ، على الرغم من التأخر الذي سببه الاستعمار العثماني الطويل ، على درجة عالية من التنظيم والتخطيط والدقة ، ويستدل على ذلك من التوجيهات التي كانت تصدرها قيادات الثورة إلى القوات المشاركة فيها ، والتي جاء فيها :

1 . يجب على كافة الأفراد أن يفهموا بأن المقصود من هذه الثورة إنما هو طلب الاستقلال التام .

2 . يجب أن يهتف الجميع للاستقلال في كل ميادين القتال .

3.يجب التمسك بالنظام ، ومنع الاعتداء ، فلا نهب ولا سلب ، ولا ضغائن قديمة ولا أحقاد .

4 . يجب تأمين الطرق ، وحفظ المواصلات بينكم وبين مناطق الثورة .

5 . بذل الهمة لحفظ الرصاص ، فلا يجوز إطلاقه في الهواء بدون فائدة .

6 . يجب الاعتناء بالأسرى ، ضباطاً وجنوداً ، إنكليزاً كانوا أم هنوداً .

7 . المحافظة على أعمدة الهاتف ، والأسلاك لضمان استمرار الاتصالات .

8 . الاهتمام بقطع السكة الحديدية ، ونسف الجسور ، لمنع قوات الاحتلال من استخدامها.

9 . الحفاظ على كافة وسائل النقل التي تقع في أيدي قوات الثورة والاستفادة منها.

10 . المحافظة على الأسلحة المصادرة من العدو ،وإدامتها لغرض استخدامها ضده .

11 . عند تحرير أي مدينة ، يجب الاهتمام بتشكيل إدارة وطنية لها ، والاهتمام بالأبنية الحكومية ، وعدم هدمها أو إحراقها والمحافظة على الوثائق فيها .

12 . المحافظة على المستشفيات وأدواتها وأجهزتها والأدوية الموجودة فيها .

13 . الرفق بالجرحى وإسعافهم، والاهتمام بهم ، والعمل على إنقاذ حياتهم .

هذه هي الوصايا التي عممتها قيادة الثورة على قواتها ، وهي تمثل أرقى درجات التنظيم في إدارة شؤون الثورة ، والحرص على سمعتها ، والتحلي بالخلق السامي في معاملة الأسرى والجرحى ، والاهتمام بمرافق البلاد من عبث العابثين ، وهي تدل دلالة أكيدة على الشعور العالي بالمسؤولية .

المحتلون يستقدمون قوات كبيرة من خارج البلاد لمجابهة الثورة :

بعد كل تلك الضربات القاسية التي وجهتها قوى الثورة لقوات الاحتلال البريطاني، وانتشار لهيب الثورة إلى كافة أنحاء العراق ،لجأ المحتلون إلى استقدام قوات كبيرة من خارج البلاد لمجابهة قوى الثورة الوطنية ، وجلبوا مختلف الأسلحة والمعدات الثقيلة لغرض إخماد لهيب الثورة ، وخاضت تلك القوات معارك شرسة دامت طيلة خمسة اشهر ، ضد قوى الثورة التي كانت تفتقد السلاح الذي يمكن أن تحابه به قوات الاحتلال ، واستخدم المحتلون أقسى درجات العنف وأشنعها ضد قوى الثورة ، وضد أبناء الشعب ، وأبدى الثوار صنوفاً من البطولة النادرة ، رغم عدم تكافؤ أسلحة الطرفين ، والإمكانيات المادية والعسكرية للمحتلين الإمبرياليين ، الذين كانوا يمثلون أقوى دولة استعمارية في العالم ، واستطاع المحتلون في نهاية الأمر إجهاض الثورة ، بعد أن دفعت قواتهم ثمناً باهظا من أرواح جنودهم ومن اقتصادهم الذي أنهكته الثورة ، لدرجة أن أصوات الشعب البريطاني ارتفعت عالياً مطالبة الحكومة بسحب قواتها من العراق وإنقاذ جنودها من لهيب المعارك مع الثوار ، وامتدت صيحاتهم إلى مجلس العموم البريطاني نفسه ، حيث طالب العديد من أعضاء المجلس بانسحاب القوات البريطانية من العراق ، نظراً للتكاليف الباهضة التي دفعتها بريطانيا للإدامة سيطرتها على العراق ، وتصاعد احتجاجات الشعب البريطاني على ارتفاع عدد القتلى من الجنود البريطانيين .

نتائج ثورة العشرين :

رغم أن ثورة العشرين لم تنجز هدفها الرئيسي في تحقيق الاستقلال الناجز للعراق ، إلا أن تلك الثورة كان لها الدور الحاسم في إسراع المحتلين البريطانيين في تغيير سياستهم تجاه العراق ، وصرف النظر عن حكمهم العسكري ، بعد أن كلفتهم الثورة آلاف القتلى والجرحى ، أثقلت كاهل خزانة الدولة البريطانية ، المثقلة أصلاً بأعباء الحرب العالمية الأولى .

لذلك فقد وجد المحتلون الإمبرياليون أن خير سبيل إلى تجنب المزيد من الخسائر البشرية والمادية هو إقامة ما سمي بالحكم الوطني ، وتأليف حكومة محلية ، والإتيان بالأمير فيصل أبن الحسين ملكاً على العراق ، مكتفين بالاحتفاظ ببعض القواعد العسكرية ، بعد تكبيل البلاد بقيود ثقيلة ، بموجب معاهدة سنة 1920، التي تم بموجبها لهم الهيمنة الفعلية على مقدرات العراق السياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية والثقافية ، وسائر المجالات الأخرى .

أما لماذا لم تحقق الثورة هدفها الأساسي في الاستقلال الحقيقي ، والناجز فيمكن حصرها بما يلي :

1 . عدم تكافؤ القوى بين المحتلين والثوار، وخاصة في مجال الأسلحة والمعدات الثقيلة والطائرات، هذا اضافة إلى الخبرة العسكرية للجيوش البريطانية.

2 . ضعف مستوى الخبرات العسكرية للثوار ، على الرغم ما قدموه من التضحيات، وصنوف البطولة التي يعتز بها كل عراقي، وكانت مثار إعجاب الجميع .

3 . استخدام المحتلين لسياسة التفرقة ،وخلق الحزازات ،والصدام بين العشائر، واستمالة عدد من رؤساء العشائر الكبار إلى جانبهم، وإغرائهم بالإقطاعيات والمناصب والسلطة ، كما استخدم المحتلون الخلافات الدينية ، والطائفية، والعقائدية لتمزيق الوحدة الوطنية .

4 . ضعف القيادة السياسية، من حيث تنظيمها، وتركيبها الطبقي، وخاصة البرجوازية الوطنية ، الضعيفة جداً آنذاك، اقتصادياً، وسياسياً، مما حال دون أن تلعب دورها القيادي بشكل صحيح.

5 . عدم صلة الثورة بأي ارتباط، أو دعم خارجي يساعدها على مقاومة المحتلين، فقد كان الثوار ينقصهم الكثير من الأسلحة ، والمعدات ، والخبرات العسكرية والتدريب على استخدام الأسلحة المستولى عليها من العدو المحتل ، في حين كان العدو على أتم الاستعداد ، ومن كل الوجوه .

6 . عدم وجود قيادة موحدة للثورة، وضعف التنسيق بين المناطق المختلفة، ويعتبر هذا العامل من العوامل المهمة التي أدت إلى إجهاض الثورة ، وحالت دون تحقيق هدفها.

ذكرى ثورة العشرين المجيدة

أول شهيد للوطن عامل نجار

ظهرت ملامح الطبقة العاملة العراقية أول مرة كقوة اجتماعية ضمن إطار وطني شامل أيام "ثورة العشرين". فقد كان عمال بغداد وحرفيوها يشكلون عماد الاجتماعات الجماهيرية التي كانت تعقد في جوامع المدينة، وتمثل إحدى أهم ذرى الوعي الوطني العراقي يومذاك.

ومن شأن الحقائق الواردة في الوثائق السرية للبوليس البريطاني في بغداد إلقاء بعض الضوء على هذا الأمر. فتصف إحدى تلك الوثائق تظاهرة حدثت في "شوارع شرق بغداد" كانت "تقرع الطبول والصفائح وتهتف للاستقلال"، يقودها شخصان "أحدهما، الشيخ طه بن خضير، كان بائع أخشاب صغيراً من غرب بغداد، أما الثاني، وهو عبد الرزاق بن علي، فقد كان طباخاً من محلة الفضل".

ورد في تقرير سري آخر للبوليس عن الاجتماع الذي عقد في جامع الحيدرية بتاريخ 15 تموز 1920، أي في عز أيام الثورة، ما نصه:

"وعندما أخذ الجمهور بالتفرق لم يكن بوسع المرء إلا أن يلحظ النوعية الفقيرة من الناس . الشغيلة ورواد المقاهي".

إن أول عراقي استشهد في بغداد عشية الثورة، (24 أيار 1920) كان نجاراً أخرس شيّعته الجماهير في اليوم التالي، ومنحته لقب "شهيد الوطن".

وفي الثالث من آب تمكن الموالون للثورة، بمساعدة العمال، من أن يشعلوا النيران في مجمع لسيارات العدو ببغداد كان يحتوي أيضاً على كميات كبيرة من الوقود، مما كان له بعض التأثير على تحركات الإنكليز، وذلك بسبب اعتمادهم المتزايد على السيارات لنقل الجنود والمؤن إلى مناطق القتال، بعد أن تمكن الثوار من تدمير السكك في نقاط حساسة منها في وسط البلاد وجنوبها.

د. كمال مظهر احمد
" الطبقة العاملة العراقية: التكوّن وبدايات التحرّك

عبد الرزاق الحسني :

30 حزيران ثورة إتحد فيما كل العراقيين بوجه الاستعمار

هذا الحوار اجري مع المؤرخ الراحل عبد الرزاق الحسني قبل اشهر من وفاته وفيه يسلط الضوء على ذكرياته عن ثورة العشرين.

× قلت له.. بعد ايام تطل علينا ذكرى ثورة العشرين الرائدة فما ذكرياتك عنها؟ اجاب:

الثلاثين من حزيران عام 1920 من الثورات الوطنية الكبرى ضد الاستعمار البريطاني في العراق لان الحكومات السابقة كانت تمنع الاحتفال بذكرى هذه الثورة العظيمة عند حلول ذكراها وتقوم بتوقيف كل من يتحدث عنها.

ان ثورة العشرين علمت الانكليز في العراق شعبا لا يقهر وامة لا تدين بالاحتلال او الانتداب اوما شابه ذلك.

وقد استطاعت القبائل العراقية برمتها من جنوب العراق الى وسطه وشماله ان تسهم في هذه الثورات الكبرى وتكبد قوات الاحتلال البريطانية ما لا يقل عن ثلاثة الأف اصابة بين قتيل وجريح ومفقود اضافة الى الخسائر المالية التي قدرت باربعين مليون باون.

× ومن الخطأ (يقول الحسني) ان يورد البعض في مؤلفاتهم عن هذه الثورة انها من بنات فريق دون اخر او منطقة دون اخرى لان هذه الثورة هي ثورة كل العراقيين وشارك فيها كل الشعب من جنوبه حتى شماله وشرقه وغربه واسهمت فيها كل الادمغة النيرة في العراق من خلال توجيهاته وتضحياتها ولكن يجب القول ان العبء الاكبر للثورة تحمله الفرات الاوسط لان بداية الشرارة انطلقت من هذه المنطقة بالذات ولكن هذا لا يعني ان بقية الشعب لم يشارك فيها فقد كانت الجيوش البريطانية تصطاف في جبال كرند على بعد 250كم عن شرق بغداد فعمدت قبائل العزة التي تسكن محافظة ديالى الى تفكيك السكك الحديد الممتدة بين بغداد وكرند فحالت دون تمكن الجيش البريطاني من العودة الى بغداد.

كما قام المرحوم جميل المدفعي بقيادة الحركات القتالية في تلعفر وعلى اطراف الموصل والشرقاط مع زملائه مما زعزعت هذه الحركات الكيان البريطاني وادت الى اضطرابه وتكبيده خسائر فادحة في الارواح والاموال.

× واذكر انني كنت ايام الثورة في محافظة النجف مع عائلتي وكانت منطقة النجف

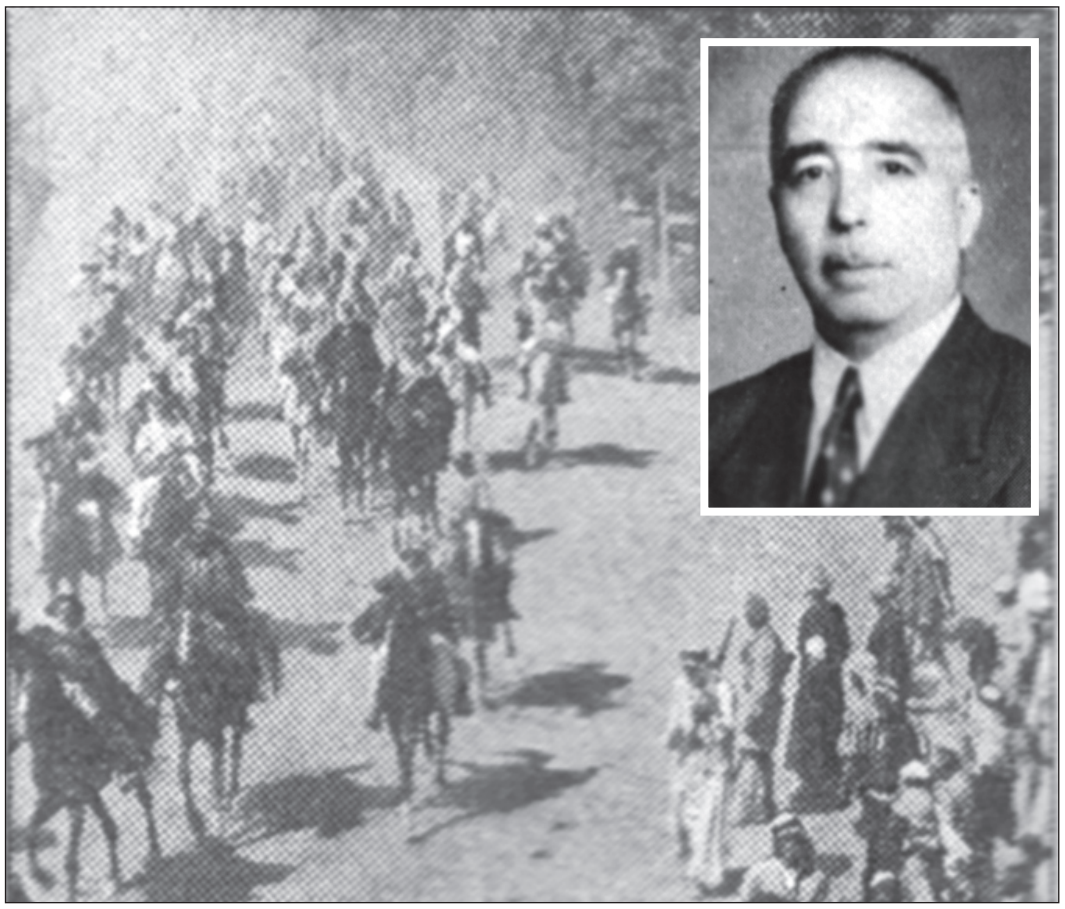

محاطة باسوار فيها اربعة ابواب تفتح نهارا وتغلق ليلا وفي صبيحة ثورة العشرين اغلقت الابواب والطرق وعندما سمعنا بالثورة اخذنا الحماس وبدأنا نكتب المناشير ونوزعها على المواطنين وكنت في تلك الفترة اعمل مدير تحرير جريدة الاستقلال لصاحبها المرحوم محد عبد الحسين الكاظمي وكانت هذه الجريدة تصدر في النجف مع جريدة اخرى هي (الفرات) لصاحبها المرحوم محمد باقر الشبيبي.

× وماذا عن خسائر الانكليز في ثورة العشرين؟

.تكبد الانكليز باعتراف الجنرال هولدن قائد القوات البريطانية في العراق (2269) بين قتيل وجريح ومفقود اضافة الى اربعين مليون باون.

اما ضحايا الثورة فقد قدرهم الجنرال هولدن نفسه بثمانية آلاف شهيد مستندا بذلك الى اجازات الدفن التي كانت تجري في المدن.

محطات في حياته!

× قلت للحسني.. لنتوقف عند محطات في حياتك تعتز بها وعليك ان تختارها؟ اجاب:

. تاريخ حياتي ولدت في سوق العطارين بالشورجة ببغداد سنة 1321هـ (1903) من أب وام عراقيين معروفين وعائلة تقرض الشعر وتتعاطى الادب وتمتهن (العطارة) لذا سميت بآل العطار.

× متى بدأت بالكتابة والنشر؟

.ولعت بالكتابة والنشر وانا ما ازال طالبا في «دار المعلمين» فكنت اقتني الجرائد اليومية، والمجلات الدورية، واقتبس منها بعض الكلمات والعبارات الملائمة، لانشئ خبرا محليا او نتفة ادبية، او قطعة شعرية، وكانت جريدة «المفيد» لصاحبها المرحوم ابراهيم حلمي العمر تنشر لي هذه الاخبار والنتف، تلطفا منها وتشجيعا، وما لبثت ان وضعت رسالة موجزة بعنوان «المعلومات المدنية لطلاب المدارس العراقية» استعنت على وضعها بما تيسر لدي من الكتب المدرسية المشابهة.

وكان لاستاذ التاريخ في «دار المعلمين» العلامة الاثاري المغفور له عبد اللطيف الفلاحي، مطبعة معروفة اسمها «مطبعة الفلاح» فراجعته لطبع هذه الرسالة واذا به يشجعني على المضي في هذا التتبع المفيد، ويتبرع بكلفة الطبع متى يسرت له الورق، وكان عدد ما يطبع من الكتب يومئذ لا يتجاوز الخمسمئة نسخة عدا، شأن الصحف الادبية والمجلات الشهرية يومذاك، فكان من الطبيعي ان اهيئ الورق لرسالة لا يتجاوز عدد صفحاتها الـ56 صفحة بقطع الثمن، وهكذا اصبحت مؤلفا معروفا.

× وما عدد المؤلفات التي انجزتها حتى الآن؟

. ثلاثون كتابا انجزتها خلال ثلاث وستين سنة.

× لا شك ان ابرزها (تاريخ الوزارات العراقية).

× نعم وقد بدأت علاقتي بهذه السلسلة عام 1952 حين جرت انتخابات رئاسة المجلس النيابي وكان عبد المحسن السعدون يرأس الوزارة للمرة الثانية فرشح وزيره حكمت سليمان لرئاسة المجلس غير ان المعارضة المتمثلة بياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني ومحمد رضا الشبيبي استطاعت ان تنتخب رشيد عالي الكيلاني لرئاسة المجلس فكان طبيعيا ان يستقيل عبد المحسن السعدون ووزارته وتؤلف وزارة جديدة حسب الطرق الدستورية.

وعندئذ طلب لي ان اكتب مقالا عن كيفية تأليف الوزارات والمهام التي تقوم بها والظروف التي تؤدي الى استقالتها ونشرت المقال في مجلة (العرفان) التي تصدر بصيدا في لبنان ومنذ ذلك الوقت قررت تأليف كتاب عنوانه (تاريخ الوزارات العراقية) وقد تم نشره باجزاء متسلسلة غطت تاريخ العهد الملكي منذ انبثاقه في 23/آب/1921 حتى انقراضه في 14 تموز 1958 وقد طبع الكتاب ست طبعات ثلاث منها في العهد الملكي والثلاث الاخرى في عهد المرحلة اللاحقة.

وحاليا تطبع الطبعة السابعة مزودة بالوثائق التي سمحت وزارتا الخارجية في كل من لندن وامريكا الاطلاع عليها كذلك الاستعانة بما صدر من مذكرات لكبار الشخصيات التي اسهمت بتأسس الدولة العراقية.

جريدة الاتحاد حزيران 1986

مؤرخون وصحفيون يروون ذكرياتهم عن ثورة العشرين

اثناء تصفحنا الصحف والمجلات القديمة عثرنا على اراء بعض الصحفيين والمؤرخين عن ثورة العشرين ننشرها كما جاءت من مصادرها الاولى

السؤال الذي يطرح نفسه ونحن نتناول ثورة العشرين من خلال هذا الملف، ما الاسباب الموجبة للثورة؟

. يقول السيد عبد الرزاق الحسني، المؤرخ المعروف: ان روح العراقيين، والتاريخ يحدثنا عن انتفاضات عراقية كثيرة ضد الوجود العثماني، ولما احتل الانكليز قطرنا خلال الحرب العالمية الاولى، ملأوا الدنيا بالضجيج، حول مزاعمهم بانهم يريدون تحرير العراق والعرب عامة ثم ظهر على العكس، فراحوا ينقلون مخططاتهم لربط العراق بالاستعمار البريطاني، وتصرفوا في العراق كما لو كان احدى مستعمراتهم، وسلكوا مع الناس سلوكا غير مقبول،

ومن ذلك اشغالهم العقارات ببدلات ضئيلة واستخدام وسائط النقل في مصالحهم العسكرية، وجمعهم الطعام لجيوشهم، واحتكروا الاقوات وباعوها بأسعار مرتفعة، الى غير هذا او ذاك مماأثار الرأي العام العراقي ضد الانكليز.

. وأدت تلك الاوضاع الى قيام اتصالات بين الاحزاب السرية وعدة جهات معنية بالشؤون الوطنية. وعندما تهيأت النفوس لامتشاق الحسام قامت الثورة دون الالتفات الى ما لدى الانكليز من قوات ومعدات قتال. ووقعت معارك ضارية بين الثوار وقوات الاستعمار.

ولم تكن الثورة من صنع فريق دون اخر فكل ابناء العراق شاركوا فيها ولم يستطع الانكليز وضع نهاية لها الا بعد ان تكبدوا الخسائر الفادحة، بينما لم يكن لدى الثوار الا البنادق القديمة و«الفالة» و«المكوار».

×وعن الجنرال (مود) وبيانه الشهير يقول صادق الازدي:

. ان هداف الانكليز تكشفت بعد هذا البيان مباشرة، وظهر ان غلاة الاستعمار من الساسة والعسكريين الانكليز قد صمموا على تحويل العراق الى مستعمرة بريطانية، لكن الذي اختلفوا حوله كان، هل يتم الحاق العراق بوزارة المستعمرات ام يصبح تابعا لحكومة الهند!؟، اي ان بريطانيا قررت البقاء، وعلى هذا الاساس كان يتصرف جهازها الاداري والعسكري فوقعت اعتداءات وتجاوزات ضمن سياسة الاستعمار واهدافه في استغلال الخيرات وتسخير الشعب وفرض عقوبات مهينة على عدد من المواطنين كالجلد في الشارع العام، واستحوذ الانكليز على المواد الغذائية لمصلحة قواتهم، فارتفعت الاسعار، وعز القوت، وشحة الموارد، وكل هذه العوامل قد تؤدي الى الثورة، ولكن عندما نضيف اليها قيام دولة عربية في البلد السوري كان معظم رجالها البارزين ينتمون اصلا الى العراق تصبح الثورة حتمية، وهكذا كان من الطبيعي ان يسعى ذلك النفر من العراقيين الى تحرير العراق من السيطرة البريطانية، فهم لم يشاركوا في ثورة الحجاز لاقامة حكومة في سوريا فحسب، وانما فعلوا ذلك من اجل اقامة دولة عربية واحدة، وحدة مستقلة تضم العراق وسوريا وفلسطين والحجاز وبقية البلاد العربية!

×وربما يتساءل البعض ماهي علاقة سوريا يومذاك بالاوضاع في البلد العراقي نقول: في الواقع ان العلاقة كانت قوية، ولم تنجم عن الاخوة بينهما كبلدين عربيين متجاورين فحسب، انما ازدادت قوة بعد ان شارك عدد من ابناء سوريا والعراق في ثورة الحجاز، ثم قامت الحكومة الفيصلية في الشام، فصار الحكم الفيصلي وبين اركانه نخبة من الضباط العراقيين يعملون من اجل استقلال العراق ومعروف انهم بعثوا ببعض الاموال الى العراقيين الذين يعملون ضد الانكليز، فصار الانكليز يقولون ان حكومة لندن تمد الحكم الفيصلي بالمال، وذاك يبعث بشيء منه لاثارة العراقيين علينا!

ولا ريب في ان الهجوم الذي قاده المرحوم

مجموعة من الاسرى البريطانيين

جميل المدفعي في الاراضي السورية على «تلعفر» في مايس 1920 واسفر عن ذبح الحامية البريطانية فيها، قد شجع على اندلاع الثورة العراقية في الثلاثين من حزيران!

كدنا ننتصر عسكرياً ولكن

×وبدأت الحرب فشملت كل العراق من جنوبه، ووسطه حتى شماله، واوشك العراقيون على ابادة الجيش الانكليزي في واحدة من المعارك ليحققوا نصرا حاسما يكشف عنها الزميل محمود شبيب صاحب كتاب «اسرار عراقية» يقول:

هذا صحيح والمقصود بالنصر هنا، قصم ظهر الانكليز بشكل كان سيؤدي الى تغيير مسار التاريخ تماما كما حدث في موقعة (ديان بيان فو) عندما استطاع الفيتناميون سحق الجيش الفرنسي واسر 13.500 جندي مع قائدهم وهيئة اركان حربه في مايس 1954 مما اسفر عن انسحاب فرنسا كلية من الهند الصينية.

اعود الى ثورة العشرين فاقول ان اكبر قوة من الجيش الانكليزي كانت تتمركز في منطقة (الديوانية) تليها قوة اقل منها في (الحلة) بينما ظلت وحدات اخرى في (بغداد) ومناطق العراق الاخرى وتركزت المعارك العنيفة في المنطقتين الاولى والثانية. وبعد ايام من المناوشات استطاع الثوار محاصرة (الكوفة) والاستيلاء على (الكفل)، فتوجه رتل انكليزي للسيطرة عليها وفك الحصار عن الكوفة، لكن الثوار كانوا بانتظاره على الطريق فجرت معركة (الرارنجية) التي استخدم فيها العراقيون السلاح الابيض مما اسفر عن هزيمة نكراء للمحتلين الذين تركوا قتلاهم واسلحتهم في ارض المعركة وتقهقروا نحو (الحلة) في حال يرثى لها، وانقلب الموقف لصالح الثوار فوجد الانكليز انفسهم محاصرين داخل (الحلة) اما في (الديوانية) فقد اخفقت الثوة المرسلة اليها في الوصول الى اهدافها ومنيت بضربة عنيفة في (العارضيات) وقرر (هولدن) القائد العام للقوات البريطانية الانسحاب نهائيا من (الديوانية) لانقاذ ما تبقى من قواته لاكمال التحشد في (الحلة) باعتبارها الموقع الدفاعي الاخير حتى تصل النجدات من بغداد وربما الهند، وفي اثناء انسحاب الجيش الانكليزي من (الديوانية) شن الثوار هجوما واسع النطاق على (الحلة) كادوا يحققون الفوز لولا تأخر احدى وحداتهم عن الوصول في الوقت المحدد. كما ان اثنين من شيوخ العشائر تنكرا للاتفاق بهذا الشأن مما ساعد الانكليز على التفرغ للمهاجمين وابعادهم غربا عن البلدة فضاعت فرصة العمر بنصر مؤزر كاد يتحقق ولو تم لتغيرت موازين القوى انذاك.

سقف من الرصاص

×ومادام الحديث عن (الحلة) ومحاصرة قوات الاحتلال البريطاني هناك، فان السيد هادي ناصر سعيد سلمان يروي جوانب أخرى من بطولات شعبنا على لسان اثنين من رجال ثورة العشرين.. فالشيخ المرحوم نجم العبود قال:

. بعد معارك (ابو صخير) تحركت قوات العشائر باتجاه الكفل واخرى سلكت شرق نهر دجلة لتلتقي بالقوات البريطانية المعسكرة في منطقة (بنشة) جنوب الحلة، وكان ذلك بايعاز وتخطيط من القيادة العليا للثورة والهدف منه اشعال القوات البريطانية ومنعها من التقدم نحو مدينة الكوفة وحوض نهري الحلة والهندية اللذين حررتهما قوات العشائر والتحم الثوار بمنطقة (بنشة) مع القوات الغازية بمعركة ضارية رهيبة استخدمت القوات البريطانية عشرات الالاف من رشاشاتها وبنادقها فشكلت سقفا كثيفا من الرصاص فوق رؤوس الثوار الذين تخندقوا في المنخفضات والخنادق وكنت تجد بين فترة واخرى احد افراد العشائر ينهض من مكانه وهو يهتف بهوسات حماسية اثارت الحماس فشنت العشائر هجوما ساحقا بالسلاح الابيض و (المكوار) و (الفالة) والسيوف والخناجر مكبدة قوات الاحتلال خسائر كبيرة جدا بعد ان اثارت الرعب والهلع في قلوب جنودها حتى كنا نسمع اصوت استغاثتهم وخصوصا الهنود الذين كانوا يرددون بخوف (مسلمان، رفيك، مسلمان) مما اضطر القوات البريطانية ان تنسحب الى الشمال قرب المحاويل.

وقال والدي الحاج ناصر سعيد السلمان: خشيت قيادة الثورة ان تقوم القوات البريطانية المتقهقرة من معركة (بنشة) بعبور جسر طويريج (الهندية) الخشبي لتلتف حول (الكوفة) فعهدت الي بتعطيل هذا الجسر وكانت تحميه قوة بريطانية كبيرة. وقد عبرت الجسر اولا مستكشفا ولم نكن نملك اية وسيلة للتدمير، كذلك ليس بمقدوري فك حباله التي تربطه بالشاطئ كي يجرفه التيار بسبب الحراسة المشددة عليه ولم يكن امامي غير حرقه وهي طريقة بدائية وفاشلة فعاونني اثنان من عشائر المنطقة بحمل النفط بوعاء سكبناه على الجسر وما ان حاولت ان اوقد النار فيه حتى انتبه حراسه فانهمر علينا الرصاص ومن كل جانب وقفزنا الى النهر. لكن النار على ما يبدو شبت في الجسر فتركونا وانشغلوا باطفائها ونجونا من موت محقق حيث عدت للقيادة ابلغها فشل مهمتي.

الخاتون تكتب عن الثورة:

والان لنتصفح ما دونه الانكليز عن الثورة.... يقول السيد سلمان عادل الحضيري:

لقد كتبوا عنها الشيء الكثير فجاء مخالفا للواقع والحقيقة. فالمس بيل (الخاتون) وصفت في رسائلها التي بعثتها الى والدها في لندن، ان ثوار العراق (متمردون) في حين كانت معجبة بهم قبل الثورة فهم يتصفون بالكياسة والرزانة والأدب ثم اصبحوا (ناكري الجميل). وكذلك فعل (لونكريك) الذي وصف ثوارنا بالعصاة والمتمردين... الخ ولا يمكن لهؤلاء وغيرهم ان يكتبوا عن الثورة التي أقضت مضاجعهم بغير هذا النحو، فقد واجه الانكليز بغطرستهم وصلفهم الفلاحين العراقيين الذين لم يكن لديهم سوى سلاح الايمان بعدالة قضيتهم في معركة «الرارنجية» فتمكنوا من اسكات اصوات مدافع الانكليز بهوساتهم الشعبية المشهورة (الطوب احسن لو مكواري)

مجلة الحضارة: اجرى الحوارات علي الكناني

ثورة العشرين في عامها التسعين

اندلعت من الرميثة وانتشر لهيبها ليشمل العراق كله

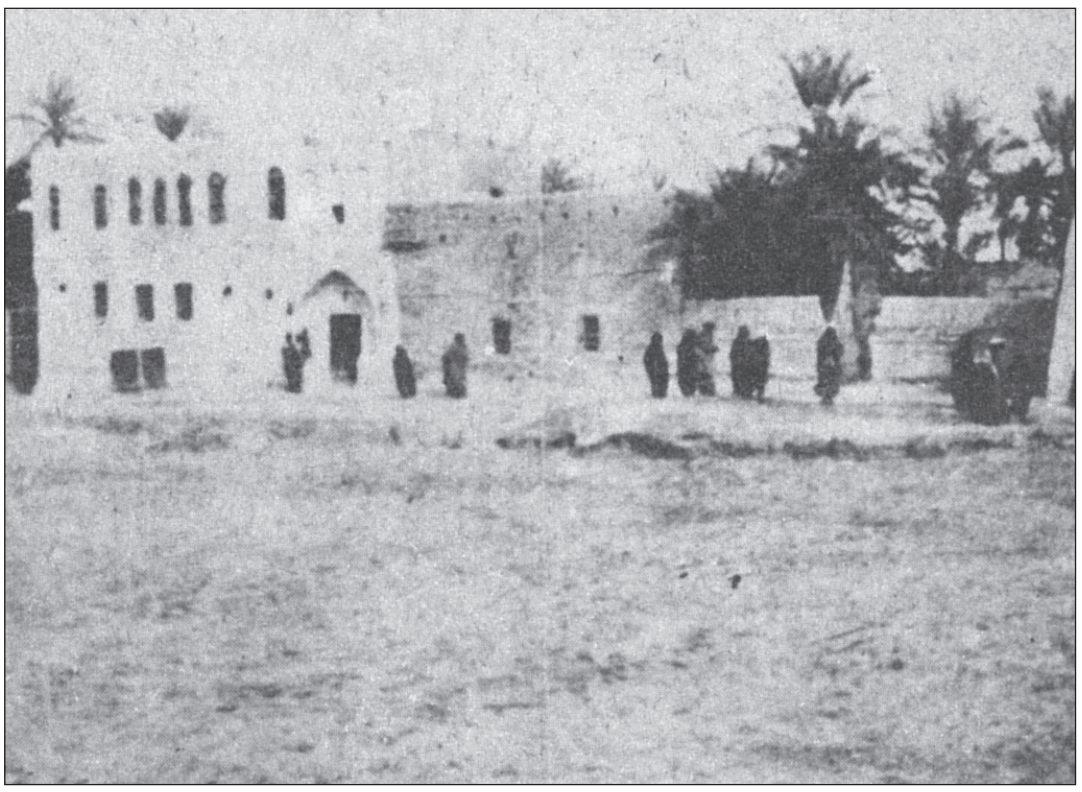

من هنا انطلقت ثورة العشرين

هذا الملف نشرته مجلة الف باء عام ١٩٧٤ في ذكرى ثورة العشرين ذاكرة عراقية تعيد نشره لما يتضمنه من معلومات ووثائق مهمة

حرس الاستقلال

×وهنا عبر هذا الملف، نحاول ان نسلط الاضواء على بعض رجال ثورة العشرين، او الذين كتبوا عنها في محاولة لرسم صورة حقيقية للاوضاع التي كانت سائدة انذاك والنتائج التي تمخضت عنها معتمدين على نصوص ووثائق ننفرد بنشرها أول مرة.

×نتصفح مذكرات المرحوم علي البازركان وفيها اشارة واضحة الى ما كان يجري في بغداد قبل الثورة بشهور.. يقول المرحوم البازركان: كانت لدي خبرة كافية بسلك التعليم وادارة المدارس حيث دعيت الى تأسيس مدرسة اهلية سنة ١٩٠٨ وكنت احد اعضاء هيئتها التدريسية وزاولت التعليم في مدرسة الالمان سنة ١٩١٢ ايضا حتى سقوط بغداد سنة ١٩١٨ بايدي القوات الانكليزية.

وعندما تقرر تأسيس مدرسة جديدة (التفيض) كان لها هدفان، الاول تربوي تعليمي، والاخر سياسي لتكون مركزا لاجتماع قيادة حزب (حرس الاستقلال) لبث الوعي السياسي بين الجماهير. وفي ١٥ نيسان سنة ١٩٢٠ وبمناسبة موسم الربيع قررت اد ارة المدرسة ان تعد سفرة مدرسية يشارك فيها الطلبة والهيئة التدريسية الى بستان الصرافية القريب من باب المعظم. خرج الطلاب من المدرسة في الساعة السابعة صباحا بلباسهم المدرسي، وعلى رؤوسهم (الطربوش) وكان عددهم يربو على ما ئتين واربعين تلميذا يحف بهم مدرسوهم وهم ينشدون الاناشيد الوطنية والحماسية منها نشيد (ايها المولى العظيم فخر كل العرب..) وقد علق كل طالب منهم على صدره شريطا ذا اربعة الوان (الاحمر والاسود والاخضر والابيض) وهو شعار الثورة العربية سنة ١٩١٦ وشعار حزب (حرس الاستقلال) السري. وعندما خرج الطلاب من الزقاق الى الشارع العام . حاليا شارع الرشيد . وسمع الاهالي اناشيد الطلاب اخذوا يتجمعون على حافتي الشارع ويصفقون للطلاب ويهتفون (يحيا الاستقلال.. يسقط الاحتلال) وقد استمرت الجماهير تحيي الطلاب حتى وصلنا البستان المقرر للرحلة..الخ.

يوميات ثورة العشرين

×ولماذا كان المرحوم علي البازركان وهو من (افندية بغداد) كما كان يطلق عليه انذاك قد روى عبر مذكراته جانبا من مشاعر المواطنين في بغداد ضد سلطات الاحتلال، وقبل اندلاع الثورة بعدة شهور؟ فان المرحوم الباحث رزوق عيسى صاحب كتاب (تاريخ الصحافة في العراق) استطاع كما يقول السيد حكمت رحماني ان يدون حوادث ويوميات ثورة العشرين والتمهيد لها يوما بيوم بكتاب نسعى مع نجله المحامي جوري رزوق عيسى بتحقيقه واعداده للنشر مع مؤلفاته الاخرى..

×ويتحدث المرحوم عيسى في احدى صفحاته اليومية التي حصلت عليها (الف باء) عن اجتماع الكاظمية فيقول:

. اجتمع في ليلة واحدة لقراءة المولد النبوي نحو عشرين الف مواطن من البغداديين وحضر الاجتماع طائفة من رؤساء العشائر تجاوزوا الخمسين، وبعد قراءة المولد النبوي اخذ الشعراء والخطباء يحثون الناس على التمسك باهداف الاستقلال وكانوا يصرخون تحيا الامة العربية، يحيا الوطن، يحيا استقلال العراق.

عندما رفع العلم العراقي

×اما سكرتير المجلس الحربي للثورة خليل عزمي فقد كتب عن ثورة العشرين مجموعة مقالات وخواطر ومشاهدات عاشها.. في واحدة من تلك المقالات غير المنشورة كتب بخطه (ان التاريخ دل على ان العراقيين مهما بلغ بهم التحزب على مشاعرهم الخصومات فانهم عند تعرضهم لاعتداء خارجي سرعان ما يتناسون خصوماتهم حتى يصبحوا كنفس واحدة، لا هم لهم الا صد العدوان والذود عن حماهم وكرامتهم وهذا ما حدث اثناء ثورة العشرين..)

×ويكتب السيد خالص عزمي نجل المرحوم خليل عزمي عن مهمة والده فيقول:

. كانت مهمة المرحوم والدي صعبة للغاية، فقد عينته قيادة الثورة سكرتيرا للمجلسين الحربي والاداري وكان واجبه ان يتولى تنظيم الارتباط ما بين قيادة الثورة وجبهات القتال ويعد رسائل القيادة ويوجهها بمختلف الطرق والوسائل الى الجبهات اضافة الى سكرتارية الادارة للمناطق المحررة من النواحي الادارية والمالية والفنية والتنظيمية وكانت رسائله العديدة تكشف عن اطلاع يومي على مجريات الاحداث.

×ويصف جميل رمزي (احد الضباط في العهد العثماني والذي عرف بمواقفه الوطنية) رفع العلم العراقي أول مرة في رسالة موجهة الى تحسين العسكري يقول: (وفي خلال مكوثنا في كربلاء الف الثوار حكومة مؤقتة هناك.. وقد رفع العلم العراقي اول مرة في كربلاء بمهرجان عظيم جدا والقى علي البازركان خطبة حماسية واعقبته انا ايضا بخطبة اثرت تأثيرا بالغا في السامعين وكان الكلام موجها الى العلم العراقي ويذكر الخطبة اكثر الاخوان. وبعد انتهائي القى خليل عزمي قصيدة مخاطبا العلم العراقي كان مطلعها:

بشراك يا كربلاء قومي انظري العلما
على ربوعك خفاقا ومبتسما

فكان لهذه القصيدة التاريخية التي القيت للعلم العراقي المحبوب في اول دقيقة رفرف فيها في سماء العراق احسن الوقع.

سر مقفل

×ولماذا كان كل ما ذكرناه يعتبر نماذج مما كتبه عدد من المشاركين في الثورة الذين رحلوا الى رحاب الله، فان المؤرخ الاستاذ عبد الرزاق الحسني امد الله في عمره كتب بخط يده قائلا:

. على الرغم من صدور عدد كبير من الكتب والبحوث عن ثورة العشرين، الا انني اعتقد ان كل ما صدر حتى الان ما يزال ناقصا، وما تزال ثورة العشرين لغزا وسرا مقفلا في وجه الباحثين.

فقد قامت ثورة العشرين على اكتاف العراقيين قاطبة، منهم من ساهم بقلمه، ومنهم بخطبه وشعره ومنهم، وهم الاكثرية الساحقة من اهل الفرات الاوسط بأرواحهم وبسلاحهم الذي يمتلكونه، ما تزال في لندن مجموعة قيمة من الوثائق الباحثة في ثورة العشرين واعتقد ان الاخ الدكتور غسان عطية عثر على قسم منها ونشره في اطروحته لنيل الدكتوراه باللغة الانكليزية من جامعة ادنبرة، ولو انه انصف المؤرخين والباحثين وعرب كتابه وقامت الجهات المختصة بنشره لاغنانا عن البحث في اسرار هذه الثورة العظيمة.

شاعر ثورة العشرين

×والان يأتي دور الاحداث والوقائع والرجال الذين صنعوها او شاركوا فيها.. الزميل عدنان الجبوري التقى شاعر ثورة العشرين وكتب يقول:

. وشاعر ثورة العشرين عبد السادة كصاد الذي كان واحدا من الشعراء الشعبيين قال لي وهو يستذكر التاريخ.

كان عمري في ٣٠ حزيران عام ١٩٢٠.٢٦ عاما فقط.. وقد شاركت فيها ورافقت الثوار ولي الفخر والاعتزاز انني قاتلت ضمن صفوفهم.. وكان واجبي ايصال الارزاق من طعام ومال الى الثوار وشد عزيمتهم ورباطة جأشهم بالقاء القصائد بينهم لرفع معنوياتهم القتالية وقد عشت معركة (ابو صخير) المعروفة ففي ١٠ تموز ١٩٢٠ وصلت الباخرة الانكليزية (فاير فلاي) لتحاصر (ابو صخير) وتضرب الثوار ولم يكن الثوار يعرفون ان الانكليز كانوا قد حفروا ساقية سرية تحت الارض لتوصل الماء من النهر الى الحفر.. وعندما علموا اجتمعوا في بيت احد الثوار هو السيد

هادي زوين الذي وزع المهمات على عشائر آل فتلة وآل ابراهيم والغزالات وآل شبل وهي عشائر معروفة "يسترسل السيد عبد السادة في حديثه ويتحدث عن الثوار يتناسى انه احدهم وهو شاعرهم" يقول: ذهبنا لنلتقي بالجيش الانكليزي القادم الى (ابو صخير) حيث تلاقينا فصار اهل الشامية قوة اخرى للثوار من الجهة اليمنى واهل المشخاب.. وفي الساعة السابعة مساءا داهمنا الجيش الانكليزي فقتلنا المدفعي بالمكوار وقتلنا حوالي ثمانين جنديا انكليزيا واسرنا ١٢٠ اخرين بينما لاذ الباقون بالفرار.. وفي اليوم التالي بعثنا الاسرى الى الحيرة وتوجهنا الى الافواج الانكليزية التي كانت مهمتها المرابطة بين الحلة ومنطقة النبي ايوب فهاجمنا الانكليز وسقط منا خلال الهجوم خمسون ثائرا بينما قتلنا من الجيش الانكليزي ١٢٠ جنديا ولاذ الجيش امامنا بالفرار وواصلنا السير حتى حررنا الحلة والرارنجية والرستمية وجناجة وطويريج وسدة الهندية، وحاصرنا الوند ثم دخلناهم في ٣٠ كانون الاول عام ١٩٢٠.

ولم ينس (ابو لقمان) دور الشعر في المعارك التي خاضها الثوار ضد الانكليز فيقول لقد كان للشعر الشعبي وخاصة "الهوسات" اثر كبير في رفع معنويات الثوار والارتقاء بها الى النصر فيقول من شعره في الثورة.

بعنه رجالنا الماتنشره بفلوس
فتنة على الطواب وغنت النه الطوس
عدنه شهود كثره شراحت النه نفوس
يتعاده ويانه الوظفناه..

مدفع الرارنجية

×ومن بين الجنود المجهولين الذين لعبوا دورا حاسما في احداثها الحاج ناصر بن سعيد بن سلمان، عضو الارتباط بين قيادة الثورة في النجف وبين شيوخ العشائر الثائرين حيث كان يتولى ابلاغهم التعليمات وخطط التحرك، حتى استطاع نجله السيد هادي ناصر سعيد ان يجمع بعض رواياته عن الثورة في كتاب ينوي نشره قريبا وكتب الينا يروي قصة مدفع الرارنجية قائلا:

ان الهوسة المعروفة والمتداولة حاليا بـ "الطوب احسن لو مكواري" اساسا قيلت في معركة الرارنجية وعلى مدفعها.

فقد ارتبكت صفوف الحامية الانكليزية، اذ ان الهجوم كان عليها من جهات اربع وكان الوقت غروب الشمس واستمر في الليل والليوم التالي. لذلك فقد كان الجيش الانكليزي يستخدم المدفع بشكل عشوائي من دون ان يكون له تأثير ستراتيجي فعال اذ ان رميه كان غالبا ما يكون خلف خطوطنا وكان بجانب المدفع من يستخدم الرشاشات "المطر لوز".. وكان هناك احد المقاتلين يتربص وهو يزحف ويكمن للوصول الى المدفع وسلاحه كان "المكوار" وعندما وصل قريبا منه هجم بقفزة وقتل رامي المدفع ومن ثم اعتلى المدفع واطلق هوسته المشهورة "الطوب احسن لو مكواري" الا انه استشهد في الحال بعد ان اثار شعورا من الحماس في تشديد الهجمة على الجيش الانكليز.

وبعد ان تم الاستيلاء على المدفع كان الانكليز قد اتلفوا صينية الرمي الخاصة به فاصبح عديم الفائدة.

ثم يتحدث عن كيفية نقل المدفع الى مدينة الكوفة فيقول:

تم نقل المدفع الى الكوفة، لان اخبارا وردت الى قيادة الثورة بان باخرتين نهريتين في طريقهما من الجنوب الى الكوفة لفك الحصار عن الحامية الانكليزية المتحصنة والمحصورة داخل احد الخانات.

وعند فحص المدفع بالكوفة من قبل ضباط عراقيين وممن كانوا من خريجي الكليات العسكرية العثمانية الذين التحقوا بالثورة.. قالوا ان المدفع عديم الفائدة دون الصينية وان مثل هذه الصينية موجودة فقط في مخازن الجيش البريطاني في بغداد. اقترح من كان حاضرا من اهل الكوفة استدعاء حداد في المدينة كان يعمل في مدفعية الجيش العثماني عله يستطيع ان يصنع صينية للمدفع.. وقد قام الحداد بصنع واحدة في ورشته وحسب ما اعطي من مواصفات الا انها لم تكن صالحة.. عندها كان القرار بضرورة الحصول على واحدة من مخازن الجيش البريطاني في بغداد.. ولكن من يذهب؟ وكيف سيحصل عليها؟

يقول ابي:

لقد تطوعت انا لهذه المهمة للاسباب التالية:

١. امكانية انتقالي والعودة سريعاً الى بغداد.

٢. في بغداد لنا معارف كثيرون من كافة طبقات المجتمع كالموظفين والعوائل الكبيرة واصحاب المحلات والاسواق التجارية مما يسهل علي مهمة الحصول على المساعدة ونجاح مهمتي.. في بغداد اتصلت ببعض التجار في الشورجة وغيرها وممن كانوا من اصل هندي حيث تم الاتصال باحد الجنود او العرفاء او الضباط الهنود المسلمين العاملين في مخازن الجيش البريطاني ومن المتعاطفين مع المسلمين حيث تحمس واحضر في اليوم التالي صينية المدفع وعدت بها فورا الى الكوفة، لنواصل القتال!

عندما غضب البصير

× ويروي السيد ممتاز عارف نجل المرحوم عارف حكمت احد مؤسسي الجمعية السرية الثورية (حرس الاستقلال) في بغداد جانبا من ذكرياته عن المرحوم د. محمد مهدي البصير وخطبه في جامع الحيدرخانة قائلا:

. اذكر الشيخ محمد مهدي البصير وانا في الصف الرابع الابتدائي في المدرسة الاهلية "مدرسة التفيض بعدئذ" فكان بعض الطلبة وانا منهم نحضر حفلات المولد النبوي التي كانت تقام في جامع الحيدرخانة وغيره من المساجد ايام كان الوطنيون يعقدون هذه الاجتماعات، وهي المناسبات التي هيأت المناخ لقيام ثورة العشرين المسلحة ضد الانكليز. كنا نحضر هذه اللقاءات بصحبة اوليائنا واقربائنا متلهفين للاستماع الى خطب وقصائد هذا الشيخ الشاعر القادم من الحلة. فكان عندما يعتلي المنبر يصل التصفيق له الى عنان السماء. وكانت الاكف تلتهب من شدته وتكراره والحناجر تبح من صيحات طلب اعادة انشاد قصائده المثيرة البليغة، فكان حقا واحدا من ابرز المساهمين بثورة العشرين.

. ولن انسى مشهد غضبه مرة في احد الاجتماعات الاولى في جامع الحيدرخانة اذ تقدم منه بعضهم لوضع خلعة على كتفه، فصرخ فيهم قائلا:

"ارفعوا عني هذه الخلع فلست ممن يدافع عن الوطن لقاء المادة". وكانت العادة في السابق ان يخلع على خطباء الجوامع بعض الهدايا كقطعة من القماش او عباءة او غيرها.

. وبعد ان تمكن الانكليزمن السيطرة على مواقع براكين الثورة المسلحة واخمادها، تفرق معظم قادتها ورجالها تجنبا لبطش الانكليز وغدرهم. فمنهم من يمم وجهه نحو الحجاز عن طريق البادية ومنهم من سار مع الفرات شمالا الى سورية كما هو معروف. في حين رجع فريق اخر منهم الى بغداد والمدن العراقية الاخرى. فقبضت سلطة الاحتلال عليهم جماعات جماعات وانتهوا في السجون وضمت احدى هذه الجماعات محمد مهدي البصير وعارف حكمت (هو والدي) والشاعر داود المحامي وعوني النقشلي واثنين اخرين غاب عني اسمائهما وقد اودعوا جميعا في زنزانة واحدة رهن التحقيق في خان دلة. وهذا هو احد خانات بغداد المعروفة وهو قائم في سوق البزازين الى يومنا هذا. لقد اتخذ الانكليز من خان دله ابان الاحتلال مركزا للشرطة مثل مركز شرطة السراي فيما بعد. وكنت اشاهد البصير وجماعته من الموقوفين كل مساء عندما كنت اخذ طعام العشاء لوالدي بصحبة خالي او احد اقربائي من الكبار.

كتب الثورة

×وتبقى الكتب التي صدرت عن ثورة العشرين بعد مرور ستين سنة على اندلاعها.. السيد عادل سليمان قام بجردها على النحو التالي:

كتب الكثير من الكتب والمذكرات عن ثورة سنة ١٩٢٠ العظيمة في العراق من قبل العراقيين ومن قبل الاجانب الذين كان معظمهم من رجال الاستعمار البريطاني في العراق وبالتالي فان ما كتبوه عن الثورة لا يخرج عن القدح والذم بل (وانحطت المس بيل) الى الدرك الاسفل حيث وصفت الثورة ورجالها باقبح النعوت والصفات في رسائلها المشهورة وقد تسنى لي احصاء طائفة كبيرة من هذه الكتب من بينها لمؤلفين عراقيين وهي:

١. الاستاذ عبد الرزاق الحسني. ثورة العراق الكبرى . تاريخ العراق السياسي الحديث . العراق في دروي الاحتلال والانتداب. تاريخ الوزارات العراقية.

٢. علي البازركان . الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية.

٣. سليمان فيضي. في غمرة النضال.

٤. الشيخ محمد مهدي كبة . مذكراتي في صميم الاحداث.

٥. الشيخ علي الشرقي. الاحلام.

٦. الشيخ السيد محسن ابو طبيخ . المبادئ والرجال.

٧. الدكتور محمد مهدي البصير . تاريخ القضية العراقية. النهضة.

٨. فريق المزهر الفرعون . الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠.

٩. عبد الله الفياض. الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠.

١٠ . عبد الشهيد الياسري. البطولة في ثورة العشرين.

١١. عبد العزيز القصاب. من ذكرياتي.

١٢ . ناجي شوكت. سيرة وذكريات.

١٣. علي جودت الايوبي. ذكريات.

١٤. مجيد خدوري . تحرير العراق من الانتداب.

١٥. محمد طاهر العمري الموصلي . تاريخ مقدرات العراق السياسية.

١٦. الدكتور علي الوردي . لمحات اجتماعية عن تاريخ العراق الحديث.

١٧. توفيق السويدي. مذكراتي.

نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية: وهناك مذكرات غير مطبوعة اهمها:

١. اوراق ومذكرات الاستاذ عيسى عبد القادر

٢. خيري الدين العمري . مقدمات ونتائج العراق في عشرين سنة . محفوظة لدى الاستاذ حسين جميل.

٣. اوراق الاستاذ المرحوم رؤوف الجادرجي.

اما المؤلفون الاجانب فهم:

١. ل.ن كوتولوف . ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق.

٢. جون فيلبي. ايام فيلبي في العراق.

٣. ادموندز. كرد وعرب واتراك.

٤. ارنولدوبلس. الثورة العراقية.

٥. فيليب ايرلاند . العراق. دراسة في تطوره السياسي.

٦. المس بيل . رسائل المس بيل . فصول من تاريخ العراق القريب.

×لكن السؤال الذي يطرح نفسه، ماهو التقييم الكامل لمعظم الكتب التي صدرت عن ثورة العشرين؟

. يرد الزميل عبد القادر البراك:

. من وجهة نظري انها لم تنل من عناية المؤرخين ما تستحقه، ومازال الكثير مما هو مدون عنها بتناول شرائح ومقاطع منها ولم يتسن تناولها بشكل شامل،

×من هنا فقد تعذر على المؤرخين كتابة التاريخ الكامل لها، فما كتبه الجنرالان (هالدن) و (ولسن) يعكس الخلاف في نظرتهما للثورة، وما كتبه (علي البازركان) يحصر قيامها في العناصر التي وفدت على بغداد من (دمشق)، وما كتبه (فريق المزهر) يحصر الجهود المبذولة والتضحيات العظيمة بابطال الفرات وبعشيرة (الف فترة) على الخصوص، وما كتبه الاستاذ عبد الرزاق الحسني يصلح ان يكون المنطلق للدراسة الواسعة الشاملة للثورة.

×وعندي ان خير ما كتب عن الثورة هو الذي املاه شاعرنا المرحوم الدكتور محمد مهدي البصير على المرحوم (سعد صالح) ، وما يقال عن صحة معلومات الدكتور البصير ينطبق على مسودات الكتاب الذي كتبه احد اعلام ثورة العشرين المرحوم عيسى عبد القادر ولكن هذه المسودات مجهولة المكان ولاشك ان المذكرات المخطوطة للمرحوم العلامة محمد رضا الشبيبي، وهومن اقطاب الثورة، وما دونه المرحوم احمد زكي الخياط في كتابه المخطوط (رجال واحداث) تصلح ان تكون من المراجع المعتمدة لكتابة التاريخ الشامل لهذه الثورة.

الثوار في اول خروجهم

مجلة الف باء حزيران 1973

تمر في الثلاثين من هذا الشهر الذكرى التسعون لثورة العراق الكبرى عام 1920 والتي شملت العراق كله شماله وجنوبه وحري بنا ان نشير الى هذه الثورة لم تقتصر احداثها على منطقة دون اخرى من العراق ولكن نقل الاحداث وتمركزها في منطقة الفرات الاوسط شكل البدايات الاولى التي اشعلت الفتيل لأعلان الثورة . الدور المشرف الذي لعبته بقية المناطق كبغداد وديالى وتلعفر والمنتفك والغراف ، كلها شهادات تؤكد ذلك وتثبت للتاريخ انها ساهمت في صنع الاحداث التي جرت والتي كان لها اهمية كبرى في اضعاف القوات البريطانية المتسلطة والحاق الاضرار الكبيرة في قطعاتها.
وخلال الشهر الماضي رافقت الهيئة التي شكلتها مديرية المتحف الوثائقي لثورة العشرين للقيام بمسح ميداني لبعض مناطق الثورة والالتقاء بالمشاركين فيها والذين مازالوا على قيد الحياة والاستفادة من البقايا التي تخص الثورة (صور ووثائق واسلحة وغيرها) لوضعها في المتحف المذكور وكان الدافع من جهتي هو محاولة تقديم ملف عن الثورة العراقية الكبرى في ذكراها التسعين واعيد نشر الملف الذي مر على نشره اكثر من اربعين عاما.

ثورة العشرين الأسباب والنتائج

علي ناصر حسين

التقيت خلال هذه الجولة ببعض المشاركين والذي خصص لهم القسم الاخير من هذا الملف ليتحدثوا عن ادوارهم فيها وعن مشاهداتهم وذكرياتهم في تلك الفترة لتتأكد الاحداث بشهادة ممن بقي من ابطالها.

× ثورة النجف كانت البداية

لانريد ان نستبق الاحداث فنغفل عن البدايات الاولى التي سبقت الثورة والتي كان لها الاثر الفاعل في تأجيجها في نفوس الاهلين وكان ذلك في عام ١٩١٨ في مدينة النجف الاشرف عندما بدأ حاكمها السياسي المدعو (وليم مارشال) بتوجيه الاهانة والاساءة لأبنائها وعبث جنوده بأموال وحقوق الناس فأدى ذلك الى تجمع بعض الثوار في اماكن منعزلة لأعداد خطة هجومية على مقر الحاكم السياسي والقضاء عليه. وفعلا تم ذلك ليلا وكان رد فعل السلطات الانكليزية هو فرض الحصار على مدينة النجف واستمر اكثر من اربعين يوما واصدار احكام اعدام جائرة بحق بعض الثوار واجلاء اخرين الى جزر الهند محاولة من السلطة في ارهاب الاهالي واضعاف عزيمتهم على طلب الاستقلال واستمر الحال هكذا لتميع الاراء والاعداد للقيام بثورة عارمة تكتسح الطغيان الانكليزي واجباره على الرضوخ لارادة الجماهير واستغرق ذلك منذ احداث النجف سنتين تقريباً.

× حادثة الرميثة اعلنت ساعة الصفر

يقول الاستاذ محمود شبيب في كتابه اسرار عراقية / في وثائق انكليزية وعربية والمانية ١٩١٨-١٩٤١ في الفصل الاول منه عن حادثة الرميثة التي اجمع المؤرخون على انها تمثل ساعة الصفر في اعلان الثورة فكتب يقول :

ان ثورة العشرين مازالت منارا نهتدي به لأنها وطنية وتحررية وان تلك الثورة كانت الشرارة الاولى وقد بدأ شعبنا يتفتح للنهوض الثوري قبلها وهو ما تعود ان يقبل في يوم من الايام العبودية والاستعمار

في ساعة متأخرة من بعد ظهر الثلاثين من حزيران ١٩٢٠ انقض عشرة من الثوار المزودين بأسلحة شخصية بسيطة على مقر (الحكومة) في بلدة (الرميثة) الصغيرة جنوبي الديوانية ، وانتزعوا قائدهم (شعلان) ابو الجون من قلب ترسانة مدججة بأحدث الاسلحة ومحاطة من كل جانب بعشرات الحرس والعسس، وبذلك اندلعت نار ثورة

ابو التمن

كوكس

شعلان ابو الجون

العشرين التي امتد لظاها ليشمل معظم ارجاء بلاد ما بين النهرين ويهز الارض كالبركان تحت اقدام المحتلين الانكليز ويحطم غطرسة (ولسون) واعوانه من الحكام السياسيين الذين توهموا ان يحكمو شعباً متخلفا يمكن لهم ان يسوسوا اموره بالخداع او السوط وربما بهما معا .

ولم يمنع اعتماد الحماس وانعدام التخطيط العسكري والتفاوت الكبير بالامكانيات بانواعها من تحقيق الانتصارات في سوح القتال والحاق الهزيمة بالجيوش البريطانية الغازية في اول الامر وليكون دافعا ادى الى فشل الثورة بعد ذلك.

ولمعرفة الاسباب التي ادت الى الثورة النتائج التي حصلت عليها فيما بعد واسباب فشلها واحداث بغداد وصحافتها كان لابد ان نلتقي بأحد مؤرخيها البارزين والذي عاصر احداث الثورة منذ بدايتها ونشر احداثها بشكل واف في كتابه (الثورة العراقية الكبرى) انه الاستاذ عبد الرزاق الحسني الذي لازم الفراش منذ فترة اثر حادث مؤسف حصل له .

× الاسباب التي ادت الى الثورة

في البداية طلبنا من الاستاذ الحسني ان يحدثنا عن الاسباب التي ادت الى قيام الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ فقال:

ان هناك اسبابا كثيرة ومختلفة تختلف بأختلاف الزمان والمكان ولكل كاتب رأي في اسباب هذه الثورة.

ولكن هناك اسباب اتفق عليها المؤرخون فمنها مباشرة واخرى غير مباشرة وهي كما يلي:

١- ان الحلفاء الذين اعلنوا في مناسبات عديدة انما هم يقاتلون اعداءهم الالمان و (الطليان) وغيرهم ليحرروا العشوب المضطهدة من نير الاستعمار ويمنحوهم حقوقهم السياسية والاجتماعية والقضائية ، خدعوا العالم بهذه الوعود الكاذبة . فلما انتهت الحرب وجاء وقت تقسيم الغنائم على المنتسبين وجد ان الدعوة التي وعد بها الحلفاء الشعب العربي ما هي الا حلم من الاحلام ولعبة سياسية الغرض منها الحفاظ على مصالحهم وكسب الحرب فنهبت وعودهم ادراج الرياح .

٢- سلوك الجيش البريطاني الذي احتل العراق في غضون الحرب العالمية الاولى كان سلوكاً شائناً مع الاهالي الذين لم يرتادوا مثل هذه السلوك والسكوت على تحرشاتهم واعتداءاتهم على المارة فكانوا يأخذون دورهم بالاكراه وباجور زهيدة يحددونها هم لأستخدامهم لأغراض سكنهم .

هذا بالاضافة الى الضرائب القاسية التي شملت حتى عبور الجسر الى الضفة الثانية

وكذلك كانو يجمعون بالقوة التبرعات من الاهالي لأسباب مختلفة منها مثلا:

تشييد تمثال في بغداد للجنرال (مود) القائد العام لجيش الاحتلال البريطاني وتارة لاعطائها الى اسرى الحرب الانكليز وثالثا ورابعا . هذه الامور كلها كانت متناغية مع الوعود من جهة ومع اخلاق وعادات العراقيين من جهة اخرى .

٣- علماء الدين وزعماء القبائل كانوا سببا اخر في تأجيج نار الثورة في نفوس المقاتلين وحمل السلاح بوجه الغزاة بعد ان وجدت هذه العشائر في نفوسها الاهالي الكاملة بالمشاركة في الثورة والالتزام بأوامر زعمائهم من جهة وبرجال الدين وفتاواهم من جهة اخرى.

٤-الثورة العربية في الحجاز والثورة في مصر وكيف كان الفلاحون المصريون يقاتلون بشجاعة الجنود الانكليز ويذيقونهم الهزائم.

حفزت هذه الاعمال في هاتين الثورتين الشعور الوطنية في نفوس العراقيين والوقوف بوجه الطغاة البريطانيين ومطالبتهم بالخضوع للارادة ومطاليب الشعوب.

× احول بغداد واحداثها

ويصف المؤرخ الحسني احوال بغداد واحداثها بقوله :

– لقد بذلت بغداد الجهود الكبيرة لتوحيدة الكلمة وتوجيه الرأي العام وتأجيج روح الثورة في الناس وكان ايضاً لزعماء الثورة في بغداد ورجال الدين دور كبير في الاعداد للثورة والتصدي للسلطة .

فكانو يعقدون الندوات والاجتماعات من خلال المواليد النبوية ومن خلال المجالس الدينية في المساجد فكانت هذه المواليد والمساجد في ظاهرها شيئاً مقبولا ولكنها كانت مجرد ستار لتغطية نشاطاتهم والاغراض السياسية مختلفة الغرض منها توعية الناس على حقيقة ما يجري وعلى حقيقة الانكليز واهدافهم . وما ان وصل نبأ حقيقة ما يكون في هذه المجالس قررت السلطة منعها بصورة باتة والتنكيل بالقائمين بها وابعادهم الى جزيرة هنجام في الخليج العربي ومن هذه المساجلات المهمة التي كانت تدور فيها مثل هذه الاحداث جامع (الحيدر خانة) في جانب الرصافة .

ومن الحوادث البارزة التي حدثت في تلك الفترة في بغداد حادثتان هما :

١-حادثة مقتل (نجار اخرس) دعسته مصفحة انكليزية خلال اطلاق النيران على المتظاهرين احتجاجا على ابعاد المرحوم عيسى عبد القادر الى البصرة .

وفي اليوم التالي شيعت جماهير بغداد (النجار الاخرس) الى مرقده الاخير بتظاهرة كبيرة تحدت فيها السلطة .

٢-اما الحادث الثاني فهو اعدام عبد المجيد كنه احد اقطاب الحركة الوطنية آنذاك والذي كان وراءه تهريب بعض ابطال الحركة الوطنية في بغداد الى الفرات امثال (السيد محمد الصدر) و(جعفر ابو التمن) (وعلي البزركان) و(يوسف السويدي) وغيرهم . والذين قررت حكومة الاحتلال البطش بهم ولكنهم تمكنوا من الهرب وقد اتهم عبد المجيد كنه بالتحريض ضد السلطة ووجود منشورات تدعو الى الثورة .فشكلت محكمة صورية حكمت عليه بالاعدام وفي اليوم الثاني من اعدامه شيع جثمانه في تظاهرة صاخبة تندد بسياسة الانكليز الجائرة وظلمهم.

ولعبت صحافة ومنشورات ثورة العشرين دورا مميزا في تكثيف الرأي حول اهداف الثورة ومنجزاتها كما كان لها الاثر الفعال في فضح اساليب السلطة واستهتارها بحقوق الناس وعدم احترامها لكرامة المواطنين وكذلك نشر اخبار المعارك بين الثورة

والانكليز . ومن هذه الصحف جريدة الفرات/ والتي اصدرها المرحوم الاستاذ الشيخ محمد باقر الشبيبي بعد ان حصل على اذن من هيئة الحكومة المشكلة في النجف بعد ان سيطر الثوار على كربلاء وعليها .

وكانت هذه الجريدة اسبوعية / سياسية صدرت العدد الاول منها في اوائل آب عام ١٩٢٠ وقد كانت (اللسان الفصيح للقضية العراقية) ولكن لم يكتب لهذه الصحيفة العمر الطويل حيث اغلقت بعد صدور العدد الخامس منها .

جريدة الاستقلال البغدادية / كانت تعلن عن نفسها في رأس صحيفتها الاولية لأنها جريدة يومية عربية حرة.

صدر العدد الاول منها في اليوم الثامن والعشرين من شهر ايلول عام ١٩٢٠ ، وصاحب امتيازها عبد الغفور قاسم البدري ، وقد دعت هذه الجريدة الى التآخي والتكاتف بين ابناء الشعب الواحد وقد حذرت المواطنين من دسائس الاجنبي واساليبه في بث التفرقة بينهم ونادت بالوقوف صفا واحدا بوجه المستعمرين .

جريدة الاستقلال النجفية / وكانت شعارها لأحياة بلا استقلال وصدر العدد الاول منها في ٣ تشرين الاول عام ١٩٢٠ ، وصاحب امتيازها هو المحامي السيد محمد عبد الحسين وصدر منها ثمانية اعداد فقط .

وقامت هذه الصحيفة بنشر انباء المعارك الضارية والانتصارات التي كانت قد حققتها الثورة وكانت ايضا تدعو للثورة على الانكليز ومقاومتهم .

ولابد من الاشارة الى ان السلطة جائرة اصدرت جريدتين لنشر البيانات والبلاغات وهما العرب / والعراق.

×المنشورات

اما بالنسبة الى المنشورات فكان هنالك نوعان منها .

-منشورات كانت تنظمها وتوزعها جريدتان (الاستقلال) و(الفرات) وكانتا تصدران في النجف الاشرف .

وهي منشورات كانت تطبع يدويا في مطابع حجرية وفي مطبعة الجريدتين فتوزع على الاهالي تارة وتلصق على الجدران تارة اخرى .

اما في بغداد فكانت المنشورات تكتب باليد والكاربون وتلصق على جدران المحلات في غسوق الليل دون ان يدري احد من الحراس او العسكريين .

فأذا طلعت الشمس في اليوم التالي وتنبأهت السلطة لما جرى في الليل تبادر الى تمزيقها والبحث عن الفاعلين لكن دون جدوى .

وقد اخبرنا الاستاذ عبد الرزاق الحسني خلال لقائنا به انه تولى ادارة جريدة الاستقلال النجفية خلال فترة صدورها .

اما الاستاذ عبد الرحيم محمد علي / المؤرخ النجفي المعروف والذي يعد مؤلفاً جيدا في اربعة اجزاء اسماه به (فصول من تاريخ النجف الاشرف) ويتناول في الفصل الثاني من الجزء الاول من هذا المؤلف احداث ثورة النجف وما قبلها والتي حكمت فيها النجف نفسها بنفسها وكان ذلك بين عامي ١٩١٥-١٩١٧ وفي الفصل نفسه يتحدث الاستاذ عبد الرحيم عن عهد الانكليز والاحداث التي رافقت ثورة العشرين ومن جملة ما يذكر :

- كانت ثورة النجف الاولى ضد الانكليز والتي وضعت حوادثها في التاسع عشر من اذار عام ١٩١٨ قد حشدت الاذهان بكره الانكليز وعلى نطاق واسع في غير النجف وحشدت القوى لسنوح الفرصة وبتوالي الايام وتمادي الانكليز وفي غيرهم وبنتيجة تماس كثيرة اطلقت الرصاصة الاولى في الرميثة في ٣٠ حزيران عام ١٩٢٠ وكانت قد صدرت الفتاوى تعلن الثورة الكبرى وتؤيدها وكانت النجف في مقدمة الحواضر العراقية بأعلان الثورة ضد الانكليز حتى حل يوم ٨ تموز عام ١٩٢٠ شدد النجفيون الحصار ضد الانكليز ودمرو حامياتهم بنفس اليوم فاضطروا الى الانسحاب وعلى آثارها تأسس فيها ادارة مدنية بقية حتى يوم تشرين الاول عندما انذر الانكليز النجف واحتلوا الكوفة مرة اخرى .

•هزمنا الانكليز باسلحتهم

ان الذي اضعف الانكليز وافقدهم السيطرة على المعركة هو الضربات المتلاحقة من جبهات القتال المتعددة والمتوزعة على مساحة العراق من الشمال وحتى الجنوب والبالغ عددها كما يذكرها الاستاذ الحسني في كتابه / الثور العراقية الكبرى (اربع عشر جبهة) وسنذكر من احداث هذه الجبهات حادثتين مكملتين لبعضهما وبارزتين وهما حادثة معركة الرارنجية والحادثة الثانية هي حادثة جسر الكوفة واغراق الثورة للباخرة الانكليزية (فاير فلاي).

اما الحادثة الاولى (الرارنجية) والتي وقعت بين الحلة والكفل فهي حادثة مهمة : كما يقول المؤرخ الحسني حيث كان الجيش البريطاني يعتمد رجلا اسمه (ابراهيم السماوي) فطلب منه ان يقوم بارشادهم وحماية القوات العسكرية التي تنوي المبيت باراضيهم لتواصل سيرها في اليوم الثاني الى الكوفة لفك الحصار الذي ضربه الثوار على قطعاتهم هناك . فاستيقظ ضمير هذا الرجل وأبت عروبته ان يمد يده الى اعدائه فاستغل فرصة نومهم ودعا اصحابه واخبر كذلك الثائر مرزوك العواد وغيره من الاقطاب للالتفاف حول القوة والقضاء عليها وقد اسر الثوار قسما من الجنود وارسلوهم الى خان الشيلان في النجف كما انهم غنموا مدفعا من عيار ١٨ بوند استعملوه في ضرب الباخرة فلاي في الكوفة .

ومن الجدير بالذكر ان (واقعة الرستمية) مونت الثوار بكل احتياجاتهم من عتاد وذخيرة لمدة طويلة اضافة الى السلاح الذي غنموه في (العارضيات) مما كان سببا في قلق السلطات البريطانية ومنهم (المسزكيرترودبل) السكرتيرة الشرقية لديوان المعتمد السامي البريطاني والتي كانت توصل الاحداث الى اسيادها في بريطانية عن طريق رسائل تكتبها الى والدها قد لعبت هذه المراة دورا مهما في المناورات السياسية والتجسسية خلال دخول الانكليز العراق ، وكان من اساليبها اذا ارادت ان تضعف مكانة احد من الزعماء الوطنيين البارزين في ذلك الوقت فانها تبالغ في مدحه والثناء عليه ليشك الناس في علاقة ذلك الزعيم وتحاول زعزعة الثقة فيه في النفوس وفي رسالة لها بعد حادثة الرارنجية كتبت تقول :

لا استطيع التكهن الان عما سيحدث في المستقبل القريب فأن حادثة كحادثة مانجستر – (قوة انكليزية عسكرية في الحلة) ستجلب قبائل دجلة الى حدود بغداد فوراً .

ان الوضع خطير ويمكن اذا ما حدث اي تمرجح في الميزان .

× الباخرة الانكليزية المدرعة فاير فلاي

لما انتصر الثوار على الانكليز في الرارنجية وغنموا المدفع قرروا استخدامه في ضرب الباخرة (فاير فلاري) التي كانت في شط الكوفة لحماية القوة الانكليزية الموجودة هناك والتي فرضوا عليها الحصار ولم توفق السلطة رغم استخدامها كل الوسائل والامكانيات فكانت الطائرات ترمي لهم امدادات الارزاق والادوية وكانت ترفق بها بعض التعليمات وغالبا ما كانت هذه الامدادات تقع في ايدي الثوار فكان الانكليز يكتبون ما يحتاجونه على اسوار الجسر في الكوفة باحرف انكليزية كبيرة لتصورها الطائرات وتلبي احتياجاتهم .

وكانت الباخرة(فلاي) تقلق بال الزعماء ورجال الثورة لانها كانت تحول بنيرانها بينهم وبين الحامية الانكليزية ، فقرروا استخدام المدفع الذي غنموه ليضربها .. ولكن كيف حدث ذلك .

• في ١٧ اب ١٩٢٠

وبعد حصول الثوار على المدفع كما اسلفنا كانت الباخرة (فاير فلاي) راسية في شط الكوفة امام معاقل الحامية وكانت مجهزة بمدفعين واثني عشر رشاشا وكان الثوار قد استعانوا ببعض من بغداد بدلالة ضابط احتياطي المدفعي سامي خوندة وقد ساعد هؤلاء الضباط بعض القبائل في تنظيم امور القتال في بعض الميادين والجبهات ودربوهم على استعمال الرشاشات التي غنموها من الانكليز ومن ابرز هؤلاء الضباط حسين علوان .

اعتاد الجنود الانكليز ان يخفوا مغاليق مدافعهم وبعض الات اسلحتهم عندما يغلبون في ساحات القتال لئلا يستعمل عتادهم ضدهم فكلف زعماء الدورة من جلب (قائمة) لهذا المدفع من بغداد حيث مذخر الجيش البريطاني وفعلا تم جلبها واصلح المدفع واستخدم ضد الباخرة الانكليزية التي تم تحطيمها وفر من كان على ظهرها الى معاقل الحامية القريبة ، فلما عرف الانكليز صلاحية هذا المدفع ركزوا عليه نيران رشاشاتهم لاتلافه ، وبالمقابل حاول الثوار نسف استحكامات الحامية الا ان الانكليز ركنوا الى طائراتهم فقصفوا الاهلين ومدينة الكوفة ومسجدها .

• اسباب فشل الثورة ونتائجها

ولمعرفة الاسباب التي ادت الى فشل الثورة ونتائجها حدثنا الاستاذ الحسني قائلا :

– ان هناك اسبابا عديدة ادت الى فشل الدورة ومن هذه الاسباب.

١– استمرار الامدادات للانكليز عن طريق البحر من الهند باعتبارهم قوة نظامية ترتبط بدولة تقوم بتموينها وتجهيزها .

٢– الامدادات بالنسبة للثوار كانت قليلة ومحدودة وتعتمد على :

أ– ما موجود لديهم من الامدادات والذخيرة

ب– ما يحصلون عليه اثناء قتالهم.

٣– بينما كانت القوات الانكليزية مستمرة بالازدياد كانت قوات الثوار تسير نحو الاضمحلال والتناقض.

٤– عدم التكافؤ بالامكانات العسكرية والاسلحة والتدريب الحديث على القتال بالنسبة للطرفين المتقاتلين.

بينما كانت اسلحة الثوار متواضعة لاتتعدى الاسلحة الشخصية مثل المكوار والبندقية والفالة كانت اسلحة الانكليز المدافع والطائرات والاسلحة الثقيلة اضافة الى جواسيسهم المنبثين في اماكن عديدة . هذا بالاضافة الى تردي الحالة المعاشية بالنسبة للمقاتلين لعدم وجود انتاج زراعي بسبب الحرب وكذلك (الملل) الذي اصاب المقاتلين لطول الفترة الزمنية للقتال الذي استغرق اكثر من خمسة اشهر تقريباً .

ولكن رغم الفشل الذي اصاب الثورة وانتكاساتها فانها حققت نتائج ايجابية ومنها :

– لقد كان من المقرر الحاق العراق بالهند كمستعرة من مستعمراتها ، لكن الثورة قلبت هذا القرار حيث عرفت الانكليز بان شعب العراق لايضام ولايستعبد ولا تنطلي عليه الحيل والمناورات السياسية ولن يرضى بغير الاستقلال .

فاضطر الانكليز لاتباع سلوك اخر ومنهج جديد في سياستهم ففرضوا عليه الانتداب والوصاية.

وانتهت الثورة !

وفي الحادي عشر من تشرين الاول ١٩٢٠ وصل المندوب السامي البريطاني (كوكس) بغداد وما كاد يستقر ببغداد حتى اصدر بيانا جاء فيه (ان فخامة السر برسي كوكس يعلن لجميع افراد العشائر وطوائف العراق بأن حكومة بريطانيا العظمى انتدبته ليعود الى العراق لتنفيذ مقاصد الحكومة الثابتة بمساعدة رؤساء الامة ولتشكيل حكومة وطنية في العراق وعلى اثر ذلك استسلم اكثر الثوار وهكذا انتهت الثورة التي دامت اكثر من خمسة اشهر ونتيجة الضغط الشعبي جيء بـ (فيصل) وتوج ملكا على العراق حتى عام ١٩٥٨ وقيام ثورة ١٤ تموز واعلان الجمهورية .

مجموعة من رجال الثورة

فشل فك الحصار عن قوة بريطانية استهدفت العشائر في الرارنجية عندما استولى الثوار على المدفع الشهير

علي الكناني

ثورة النجف

لا نريد ان نستبق الاحداث فنغفل عن البدايات الاولى التي سبقت الثورة والتي كان لها الاثر الفعال في تاجيجها في نفوس الاهلين وكان ذلك في عام ١٩١٨ في مدينه النجف الاشرف عندما بدا حاكمها السياسي المدعو وليم مارشال) بتوجيه الاهانة والاساءة لابنائها وعبث جنوده باموال وحقوق الناس فادي ذلك الي تجمع بعض الثوار في اماكن منعزله لاعداد خطة هجومية على مقر الحاكم السياسي والقضاء عليه. وفعلا تم ذلك ليلا، وكان رد فعل السلطات الانكليزية هو فرض الحصار على مدينة النجف واستمر اكثر من اربعين يوما واصدار احكام جائرة بحق بعض الثوار واجلاء اخرين الى جزر الهند في محاولة من السلطة في ارهاب الاهالي واضعاف عزيمتهم على طلب الاستقلال واستمر الحال هكذا لتجميع الاراء والاعداد للقيام بثورة عارمة تكتسح الطغيان الانكليزي واجباره على الرضوخ لارادة الجماهير واستغرق ذلك منذ احداث النجف سنتين تقريبا.

ولمعرفة الأسباب التي أدت إلى الثورة كان لابد إن نلتقي بأحد مؤرخيها البارزين والذي عاصر احداث الثورة منذ بداياتها ونشر أحداثها بشكل واف في كتابه الثورة العراقية الكبرى إنه المؤرخ الراحل عبد الرزاق الحسني الذي التقيته في عام ١٩٧٨ في بيته فحدثني عن ذلك قائلا :

إن هناك أسباباً كثيرة ومختلفة تختلف باختلاف الزمان والمكان ولكل كاتب رأي في أسباب هذه الثورة.

ولكن هناك أسباب اتفق عليها المؤرخون فمنها مباشرة وأخرى غير مباشرة وهي كما يلي :

١- إن الحلفاء الذين أعلنوا في مناسبات عديدة إنما هم يقاتلون أعداءهم الألمان و(الطليان) وغيرهم ليحرروا الشعوب المضطهدة من نير الاستعمار ويمنحوهم حقوقهم السياسية والاجتماعية والقضائية فخدعوا العالم بهذه الوعود الكاذبة. فلما انتهت الحرب وجاء وقت تقسيم الغنائم على المنتسبين وجدوا إن الوعود التي وعد بها الحلفاء الشعب العربي ما هي الا حلم من الاحلام ولعبة سياسية الغرض منها الحفاظ علي مصالحهم وكسب الحرب فذهبت وعودهم أدراج الرياح

٢- سلوك الجيش البريطاني الذي احتل العراق في غضون الحرب العالمية الأولى كان سلوكا شائنا مع الاهالي الذين لم يعتادوا مثل هذا السلوك والسكوت على تحرشاتهم واعتداءاتهم على المارة فكانوا ياخذون دورهم بالاكراه وبأجور زهيدة يحددونها هم لاستخدامها لاغراض سكنهم. هذا بالاضافة الى الضرائب القاسية والتي شملت حتى عبور الجسر الى الضفة الثانيه وكذلك كانوا يجمعون بالقوة التبرعات من الاهالي لاسباب مختلفة فمنها مثلا : لتشييد تمثال في بغداد للجنرال (مود) القائد العام لجيش الاحتلال البريطاني وتارة لاعطائها الي اسري الحرب الانكليز وثالثا ورابعا.

هذه الامور كلها كانت متنافية مع الوعود من جهة ومع اخلاق وعادات العراقيين من جهة اخري

٣- علماء الدين وزعماء القبائل كانوا سببا اخر في تأجيج نار الثورة في نفوس المقاتلين وحمل السلاح بوجه الغزاة بعد ان وجدت هذة العشائر في نفسها الاهلية الكامله للمشاركة في الثورة والالتزام بأوامر زعمائهم من جهة اخرى.

٤- الثورة العربيه في الحجاز والثورة في مصر وكيف كان الفلاحون المصريون يقاتلون بشجاعة، الجنود الانكليز ويذيقونهم الهزائم وقد حفزت هذه الإعمال في هاتين الثورتين الشعور الوطني في نفوس العراقيين والوقوف بوجه الطغيان البريطاني ومطالبته بالخضوع لإرادة ومطاليب الشعب.

ضربات متلاحقة

- ان الذي اضعف الانكليز وافقدهم السيطرة على المعركة هو الضربات المتلاحقة من جبهات القتال المتعددة والمتوزعة على مساحة العراق من الشمال وحتى الجنوب والبالغ عددها كما يذكرها الاستاذ الحسني في كتابه الثورة العراقية الكبرى (اربع عشرة جبهة) وسنذكر من احداث هذه الجبهات حادثتين مكملتين لبعضهما وبارزتين وهما حادثة معركة الرارنجية والحادثة الثانية هي حادثة جسر الكوفة واغراق الثوار للباخرة الانكليزية فاير فلاي اما الحادثة الاولى (الرارنجية) والتي وقعت بين الحلة والكفل فهي حادثة مهمة كما يقول المؤرخ الحسني - حيث كان الجيش البريطاني يعتمد رجلا اسمه ابراهيم السماوي فطلبوا منه ان يقوم بارشاد وحماية القوة العسكرية والبريطانية التي تنوي المبيت بارضه لتواصل سيرها في اليوم الثاني الى الكوفة لفك الحصار الذي ضربه الثوار على قطعاتهم هناك فاستيقظ ضمير هذا الرجل وابت عروبته ان يمد يده الى اعدائه فاستغل فرصة نومهم ودعا اصحابه واخبر كذلك الثائر مرزوك العواد وغيره من الاقطاب للالتفاف بشأن القوة والقضاء حول عليها وقد اسر الثوار قسما من الجنود وأرسلوهم الى خان الشيلان في النجف كما انهم غنموا مدفعا من عيار

١٨ بوناً استعملوه في ضرب الباخرة فاير فلاي في الكوفة ومن الجدير بالذكر ان واقعة الرستمية مونت الثوار بكل احتياجاتهم من عتاد وذخيرة لمدة طويلة اضافة الى السلاح الذي غنموه في العارضيات مما كان سببا في قلق السلطات البريطانية ومنهم (المسز كيرترودبل) السكرتيرة الشرقية لديوان المعتمد السامي البريطاني والتي كانت توصل الاحداث الى اسيادها في بريطانيا عن طريق رسائل تكتبها الى والدها وقد لعبت هذه المرأة دورا مهما في المناورات السياسية والتجسسية خلال دخول الانكليز العراق وكان ومن اساليبها اذا ارادت ان تضعف مكانة احد من الزعماء الوطنيين البارزين في ذلك الوقت فانها تبالغ في مدحه والثناء عليه ليشك الناس في علاقة ذلك الزعيم وتحاول زعزعة الثقة فيه في النفوس وفي رسالة لها بعد حادثة الرارنجية كتبت تقول :

لا استطيع التكهن الان عما سيحدث في المستقبل القريب فان حادثة كحادثة ما نجستر – (قوة انكليزية عسكرية في الحلة) – ستجلب قبائل دجلة الى حدود بغداد فورا ان الوضع خطير ويمكن ان يصبح اشد خطورة اذا ما حدث أي تمرجج في الميزان

الباخرة الانكليزية

لما انتصر الثوار على الانكليز في الرارنجية وغنموا المدفع قرروا استخدامه في ضرب الباخرة فاير فلاي التي كانت في شط الكوفة لحماية القوة الانكليزية الموجودة والتي فرضوا عليها الحصار ولم توفق السلطة في فك الحصار عن هذه القوة رغم استخدامها كل الوسائل والامكانيات فكانت الطائرات ترمي لهم امدادات الارزاق والادوية وكانت ترفق بها بعض التعليمات وغالبا ما كانت هذه الامدادات تقع في ايدي الثوار فكان الانكليز يكتبون ما يحتاجونه على اسواق الجسر في الكوفة باحرف انكليزية كبيرة لتصورها الطائرات وتلبي احتياجاتهم وكانت الباخرة فلاي تقلق بال الزعماء ورجال الثورة لانها كانت تحول بنيرانها بينهم وبين الحامية الانكليزية فقرروا استخدام المدفع الذي غنموه ليضربها ولكن كيف حدث ذلك..

بعد حصول الثوار على المدفع كما اسلفنا كانت الباخرة فاير فلاي راسية في شط الكوفة امام معاقل الحامية وكانت مجهزة بمدفعين واثني عشر رشاشا وكان الثوار قد استعانوا ببعض الضباط من بغداد بدلالة ضابط الاحتياط المدفعي سامي خوندة وقد ساعد هؤلاء الضباط بعض القبائل في تنظيم امور القتال في بعض الميادين والجبهات ودربوهم على استعمال الرشاشات التي غنموها من الانكليز ومن ابرز هؤلاء الضباط حسين علوان حيث اعتاد الجنود الانكليز ان يخفوا مغالبق مدافعهم وبعض الات اسلحتهم عندما يغلبون في ساحات القتال لئلا يستعمل عتادهم ضدهم فكلف زعماء الثورة من جلب قائمة لهذا المدفع من بغداد حيث مذخر الجيش البريطاني وفعلا تم جلبها واصلح المدفع واستخدم ضد الباخرة الانكليزية التي تم تحطيمها

وفر من كان على ظهرها الى معاقل الحامية القريبة فلما عرف الانكليز صلاحية هذا المدفع ركزوا عليه نيران رشاشاتهم لاتلافه وبالمقابل حاول الثوار نسف استحكامات الحامية الا ان الانكليز ركنوا الى طائراتهم فقصفوا الأهلين ومدينة الكوفة ومسجدها

– ويقول المؤرخ الحسني انه رغم الانتكاسة التي أصابت الثورة فإنها حققت نتائج ايجابية ومنها:-

– لقد كان من المقرر إلحاق العراق بالهند كمستعمرة من مستعمراتها لكن الثورة قلبت هذا القرار حيث عرفت الانكليز بان شعب العراق لا يضام ولا يستعبد ولا تنطلي عليه الحيل والمناورات السياسية ولن يرضى بغير الاستقلال فاضطر الانكليز لاتباع سلوك اخر ومنهج جديد في سياستهم ففرضوا عليه الانتداب والوصاية ولكن رغم كل ذلك فقد ادت الثورة الى ايقاد الشعور الوطني والوعي القومي وحدوث الثورات علي المستعمرين في بعض الاقطار العربية

التخطيط العسكري

لم يمنع اعتماد الحماس وانعدام التخطيط العسكري والتفاوت الكبير بالإمكانيات بأنواعها من تحقيق الانتصارات في سوح القتال وإلحاق الهزيمة بالجيوش البريطانية الغازية أول الأمر وليكون دافعا الى فشل الثورة بعد ذلك. ففي الحادي عشر من تشرين الاول ١٩٢٠ وصل المندوب السامي البريطاني كوكس بغداد وما كاد يستقر ببغداد حتى اصدر بيانا جاء فيه ان فخامة السر برسي كوكس يعلن لجميع افراد العشائر وطوائف العراق بان حكومة بريطانيا العظمي انتدبته ليعود الى العراق لتنفيذ مقاصد الحكومة الثابتة بمساعدة رؤساء الامة لتشكيل حكومة وطنية في العراق وعلى اثر ذلك استسلم اكثر الثوار وهكذا انتهت هذه الثورة التي دامت اكثر من خمسة اشهر ونتيجة للضغط الشعبي توج فيصل الاول ملكا علي العراق وتعاقبت الادوار المظلمة على العراق حتي عام ١٩٥٨ وقيام ثورة ١٤ تموز وإعلان الجمهورية

أبطال الثورة ورجالها

كنا قد نوهنا في البداية على اننا سنلتقي مع الرجال الابطال الذين تحدوا الزمن والطغيان بإيمانهم وشهامتهم العربية وحققوا الانتصارات الرائعة في سوح القتال دفاعا عن شرفهم وعزتهم ورغم صعوبة العثور علي احياء من هؤلاء الابطال لانتقال الاغلبية منهم الى رحاب الله استطعنا ان نفوز بلقاء مع بعض هؤلاء المشاركين

مطرود حاسم الكعباوي وعمره تجاوز التسعين عاما يروي لنا قصة اشتراكه بالثورة قائلا بعد ان تكررت اعتداءات الحاكم الانكليزي وجنوده في النجف الاشرف وبعد التشاور والاجتماع قررنا القيام بهجوم على مقر الحاكم المدعو (وليم مارشال) وقتله هو واصحابه في السراي والذي يسمى الان خان عطية وكان ذلك عام ١٩١٨ فشاركت بالهجوم مع بعض الثوار الذين هم الحاج نجم البقال وشمران العامري وصادق الاديب ومحسن البوغنيم وغيرهم وكان عدد الذين قاموا بالهجوم ثلاثة عشر رجلا.

– وماذا بعد ؟

بعد انتهاء عملية الهجوم لذنا بالفرار من الباب الثاني للسراي ولم يعرف الانكليز القائمين بالهجوم ولكن بعد مقتل الشرطيين بحضور بلفور وإطلاق النار عليه هو ايضا عرف ان النجفيين هم الذين قاموا بهذا العمل فجهز حملة كبيرة وضرب الحصار علي مدينة النجف دام اكثر من اربعين يوما بعدها اصدرت السلطة بإجلاء (١٣٠) شخصا الي الهند

– وكيف نجوت من حكم الاعدام باعتبارك احد المشاركين في الهجوم على السراي ان لنجاتي من الحكم قصة طويلة وملخصها ان السيد محمد كاظم اليزدي هو الذي توسط لي عند الانكليز واكد لهم عدم مشاركتي فعدت الي اهلي ليكتب لي المشاركة مرة ثانية وحمل السلاح في ثورة ٣٠ حزيران ١٩٢٠

معارك شعبية

في دار ناصر المكوطر شقيق المرحوم هادي المكوطر احد المشاركين البارزين في الثورة التقينا عبد السيد صادق الموسوي وعمره تجاوز الثمانين عاما فحدثنا قائلا :

– كنت احد المشاركين في معارك الشعيبة خلال الحرب العالمية الاولى فاصبت بطلق ناري في ساقي اليسري وهنا مد يده الى جيبه ليخرج منه الرصاصة التي اصابته واخرجوها من جسده بعد اجراء عملية جراحية له فمنعته هذه الاصابة من المشاركة في احداث ثورة العشرين وكذلك لبقائي مكان والدي لرعاية شؤون الاسرة لانه كان احد المشاركين في الثورة واصيب خلالها وتوفي بعد عام من الثورة متأثرا بجراحه

– ومن الطريف ان عبد لا يزال يحتفظ بنسخة العريضة التي قدمها للحكومة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولي مطالبا بحقوق تقاعدية ولم يحصل على شي سوى الوعود الكاذبة

معسكر الشنافية

يروي لنا السيد ضاحي سيد هادي الشوجة ذكرياته عن الثورة والتي قام بجمعها في سجل خاص دون فيه تاريخ الشنافية ويطمح لطبعه في كتاب في المستقبل يقول السيد ضاحي عن عملية الهجوم علي معسكر الانكليز امر السيد هادي المكوطر بقيام ثلاثة من الثوار وهم مهوال الجباري عمران شكور ومحل ابو حاجم بالهجوم على الحامية وربط السياج (الشرك) الذي يحيط المعسكر بحبال قوية ويقوم الباقون وتتم عملية الهجوم بعد عملية التمهيد هذه وفعلا تمت العملية بنجاح واسر من في المعسكر وارسلوا الى خان الشيلان مع بقية الاسرى

1000 بندقية و 1000 بيضة

اما السيد صميدع بن جري المريع من منطقة التوتي وعمره ٧٨ عاما فحدثنا قائلا : لقد ارهقنا الانكليز بالضرائب والعقوبات الظالمة كونهم فرضوا علينا عقوبة مقدارها (١٠٠٠ بندقية) و (١٠٠٠ بيضة) والغرض منها اضعاف همة المقاتلين ومعنوياتهم واشغالنا بتدبير هذا العدد الكبير من البيض في ذلك الوقت وفي يوم اخر عندما اراد القائد الانكليزي في منطقتنا احراق مضيف محسن ابو طبيخ ومضيف والدي الذي كان هاربا مع بعض الثوار فلكمه عمي ولما راي جرأته انهال عليه بالضرب فهدده عمي بتأليب العشائر عليهم اذا اتبعوا مثل هذا الأسلوب فلجا الى سياسة اللين والخداع للحصول على ما يريد وهنا فرض علينا احضار كمية كبيرة من التمر لاطعام جنوده وعدها كجزاء علي التجاوز عليه

المس (جيرتر ودبيل) تزور محسن ابو طبيخ

وفي ناحية غماس التقينا بجعفر سيد حسن ابو طبيخ وعمره ٨٦ عاما وهو شقيق الزعيم المعروف محسن ابو طبيخ

كيف تم الاعداد للثورة؟

بعد اخذ فتوى الجهاد من العلماء والاعداد للثورة من قبل زعمائها ومنهم محسن ابو طبيخ وغثيث الحرشان وشعلان ابو الجون ومرزوك العواد الحاج سكر وبعد حادثة شعلان ابو الجون في الرميثة اعلنت الثورة العراقية

ما هو دوركم في الثورة ؟

دوري هو انني كنت احضر الاجتماعات واجمع التبرعات وتبليغ ما يمليه علي محسن الي الزعماء الاخرين والمشاركين بالثورة وايصال احتياجات المقاتلين وفي احد الايام جاءت السكرتيرة الشرقية لديوان المعتمد السامي البريطاني (جير ترود بيل) الى السيد محسن ابو طبيخ محاولة منها في كسب رضاه وتشويه سمعته الوطنية ولكنه اخبرها بالحرف الواحد باننا لا نقبل بغير الاستقلال واذا اردتم ان تكسبونا فاكسبوا الشعب اولا وفي ٦ تشرين الاول ١٩٢٠ جرى احتفال كبير في دار البلدية في كربلاء ورفع العلم العربي وعين الثوار السيد محسن ابو طبيخ متصرفا لكربلاء ولكن متصرفية ابو طبيخ لم تدم اكثر من اسبوع بسبب احتلال طويريج وكربلاء وفر السيد محسن ابو طبيخ الى الحجاز مع بقية الزعماء وعن احداث مناطق الحلة يروي لنا الحاج سلمان الحاج جاسم الجبوري وعمره ٩٥ عاما هذه الحادثة

– بعد سماعنا بقدوم قطعات الجيش الانكليزي قررنا الخروج والتصدي لها في منطقة المجرية وقد اقمنا معسكرنا هناك وخصصنا كل يوم علي عشيرة للقيام بالحراسة خارج المعسكر وكان هناك مرتفع قريب من المنطقة سيطر عليه الانكليز وشيدوا فيه معسكرهم فقررنا الهجوم عليه واسر وقتل من فيه من قطعات العدو وتم لنا ذلك بعد حصار لهم دام ١٤ يوما لمنع وصول المؤونة

– وفي لقاء لنا مع الحاج محمد حمزة الزكرتي وعمره (١٢٠) سنة في قضاء الكوفة حدثنا عن الإحداث التي شارك فيها قائلا :

– لقد حاربت الانكليز في ثلاث معارك هي. الفاو عام ١٩١١ والشعيبة خلال الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ وفي الكوفة خلال ثورة ١٩٢٠.

كيف كانت مشاركتكم في ثورة العشرين ؟

بعد معركة الرارنجية وهزيمة الانكليز وحصول الثوار على مدفع كبير قرروا ضرب الباخرة المدرعة فلاي والموجودة في شط الكوفة فكنت مع المشاركين في عملية ضرب الباخرة واغراقها وبعد سماع السلطة بمشاركتي ارادوا ايداعي السجن ولكن الحاج امين كرماشة هو الذي خلصني مدعيا بانني مجنون ولا اعرف شيا فاطلق سراحي بعد ان اعتقلتني السلطة ونصحني الحاج امين كرماشة بمغادرة الكوفة لمدة معينة لحين هدوء الموقف

الهوسات الشعبية

لقد كان للأهازيج والهوسات الشعبية التي كان يطلقها الشعراء دور كبير في اثارة الحماس والشجاعة في نفوس المقاتلين فالتقينا باحد هؤلاء الشعراء في ذلك الوقت الذي كان لا يزال ينظم الشعر وهو الشاعر عبد السادة الكصاد الذي يتذكر احداث الثورة بتفاصيلها حيث يقول:

كان للشعر والقراءة والكتابة اهمية بارزة في معرفة ما يدور وما يجري كوني أجيد القراءة والكتابة واكتب الشعر ايضا كنت قريبا جدا من زعماء الثورة فاكتب الرسائل لهم وانظم الهوسات والاشعار لتقوية عزائم الثوار وتحريضهم علي الثورة

اضافة الى قيامي بتسلم الارزاق والاموال وتمويل المقاتلين بها وحتى النساء كان لهن دور بارز ومهم في اشعال نار الثورة في النفوس وذلك بالقاء الشعر تارة والزغاريد تارة اخرى اضافة الى تضميد الجرحى ومداراتهم واذكر منهن حضية العارضية وسكينة العسل وفاطمة الموسي واذكر واحدة منهن سقط ولدها في المعركة فلم تهتم واهتزت مشاعر المقاتلين لهذا الموقف الرائع عندما

سمعوها تلقي قصيدة شعرية طويلة تقول في بعض ما جاء في أبياتها :

ابني المضغتة البارود ومفطوم اعله سركيها..

هم رايد تجيب اهدان وتكمطة اعله رجليها

وهل شاركت في احداث اخرى ؟

– لقد شاركت في احداث ١٩٤٠ – ١٩٤١ ايضا عندما كنت انقل الرسائل من البطلين كامل شبيب وصلاح الدين الصباغ الي شخص يدعى احمد في الديوانية وكما عاش الكصاد إحداث الثورة فقد كان يستذكرها في مناسبات مختلفة باشعاره وأحاديثه، وفي عام ١٩٣٢ وبحضور الملك فيصل الاول عندما زار الرميثة القى قصيدة طويلة ليذكره بما فعله الثوار في ثورة العشرين جاء في

بعض أبياتها :

نار شبت بالفرات بكل مجان

وثورة سوو تنذجر مر الزمان

رختوها وحطو عليها العنان

وصار كل واحد يجي خيالها

وتخيلوها وما مر عليهم تعب

وما درو كثرة اليتامة من الشعب

لولا أحنة ألها الكراسي من كرب

أرجال طيبة مهذبة بعنا لها

من أوراق ثورة العشرين

عبد الحسين الصالحي

محمد سعيد الحبوبي مع مجموعة من العلماء ومجاهدي ثورة العشرين في عام ١٩١٥

استعد زعماء ورؤساء العشائر للثورة واستعمال القوة بعد أن رفضت السلطات البريطانية مطالب الشعب العراقي التي وقعوها في دار عبد الواحد الحاج سكر بامر من القيادة في كربلاء وان يلقوا بآخر حجة على السلطة المحتلة حقنا للدماء وكانت المطالب العراقية كالتالي:

أولاً: أن يمنح العراق استقلالا تاماً لا تشوبه أية شائبة.

ثانياً: أن يتوقف القتال في الرميثة واطرافها حالاً.

ثالثاً: أن يتخلى الحكام السياسيون مع جميع القوات البريطانية عن مراكز الفرات وبلداته إلى بغداد لتدور المفاوضات بين زعماء الأمة العراقية والسلطة البريطانية المحتلة بشأن تقرير مصير العراق بجو هادئ. رابعاً: أن يطلق سراح الميرزا محمد رضا نجل آية الله الإمام الشيرازي ويفرج عن احرار العراق المسجونين والمنفيين إلى جزيرة هنجام وغيرها كافة بلا استثناء دون قيد أو شرط.

وقدموا هذه المطالب إلى الحاكم البريطاني الميجر نور بري وعندما رفضها تأهبوا للوثوب والقيام بالثورة وفي يوم الأحد ٢٤ شوال ١٣٣٨ هجرية الموافق ١١ تموز ١٩٢٠م تقدمت جيوش العشائر وهم آل فتلة واعقبتهم جيوش عشيرة آل إبراهيم تحت قيادة السيد علوان الياسري وشعلان الجبر وجيوش الغزالات تحت قيادة السيد هادي زوين وعلي المزعل ثم انقسمت قبائل آل فتلة إلى قسمين قسم توجه إلى حصار مدينة أبي صخير التي كان فيها ما يزيد على الثلاثمائة جندي بريطاني مع كامل عدتهم تحت قيادة الكابتن هوبكنس والضابط مايقوس. هجم آل فتلة على أبي صخير بقيادة عبد الكاظم الحاج سكر وحاصروا المدينة بعد أن استشهد من آل فتلة ثمانية عشر مقاتلاً وجرح ستة وعشرون مجاهداً وكانت هذه المواجهة اول معركة قام بها الثوار ضد الانكليز. ثم توجه القسم الثاني من مقاتلي عشيرة آل فتلة نحو الجانب الشرقي من ضفة الفرات يقصدون الكوفة فالحلة ثم بغداد تحت قيادة عبد الواحد الحاج سكر وعندما وصلوا إلى أبي صخير التحق بهم السيد علوان الياسري وحقق المجاهدون اول انتصار في الشامية حيث هجموا على الباخرة الحربية فاير فلاين فاضطرت للانسحاب إلى الكوفة ثم حرقها الثوار. واقعة الرارنجية في يوم ٧ ذي القعدة سنة ١٣٣٨هجرية وقعت معارك دامية في نواحي الرسمية التي تبعد عن الحلة اثني عشر ميلاً في جنوبها بين الجيش البريطاني والمجاهدين، ادت إلى القضاء على اكثر من ثلثي القوة البريطانية ومعداتها واشتهرت هذه الواقعة بالرارنجية وترك الجيش البريطاني ما يزيد على الألف قتيل واكثرهم من الانكليز وغنم الثوار اثنين وسبعين رشاشا من نوعي (فيكرس ولويس) ومدفع عيار ١٧ بوند وأرزاقاً واسرى بلغ عددهم ١٦٠ اسيراً منهم ٧٩ بريطانياً والباقون من الجنود الهنود وبعد انتهاء معركة الرارنجية قرر الثوار أن يرسلوا المدفع المذكور إلى الكوفة لتحطيم باخرة فايرفلاي التي كانت في الشط مقابل الثوار الذين حاصروا القوة البريطانية في الكوفة فضربوا الباخرة بقذيفتين الأولى اصابتها والثانية اشعلت فيها النيران فاحرقتها ثم غرقت . أما خسائر المجاهدين في واقعة الرارنجية فقد بلغت ١٥٨ جريحاً و٨٤ شهيداً. وفي يوم ١٨ ذي الحجة يوم عيد الغدير وهو من اكبر اعياد الشيعة الإمامية اجتمع مجلس قيادة الثورة الذي كان مقره في كربلاء المقدسة وقد أشرنا سابقاً بنفي بعض أعضاء هذا المجلس إلى جزيرة هنجام وقرر تشكيل حكومة مستقلة وكان اول قراراته تعيين مدينة كربلاء المقدسة مركز لواء والنجف الأشرف قضاءاً تابعاً إلى كربلاء كما قرر تنصيب السيد محسن أبي طبيخ متصرفاً للواء كربلاء وتعيين السيد نور السيد عزيز الياسري قائم مقام لقضاء النجف وتلحق به الكوفة حتى أبي صخير ويكون راتبه الشهري ألف روبية وقد تبرع السيد أبو طبيخ متصرف كربلاء برواتبه إلى الثوار لسد نفقات عوائل المجاهدين ولم يبق من تلك المخصصات شيئ فكان هذا أول منصب رسمي وتشكيل حكومة عراقية مستقلة في كربلاء المقدسة ونصب عليهم حاكماً منهم وعمّها الفرح ولمس العراقيون أول ثمرة من ثمرات الثورة العراقية الكبرى تحققت باستقلال وخروج كربلاء عن طاعة الانكليز وهذا نص البيان الرسمي لمجلس قيادة الثورة: اجتمع المجلس الحربي بتاريخ ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٣٨هـ بمدينة كربلاء وتذاكر فيما يخص تنظيم شؤون المدن والمراكز التي حررها الثوار فقرر جعلها مناطق وجعل لكل منطقة متصرفاً يعين من قبل هذا المجلس وهو يعين موظفين لمنطقته يبقون مؤقتين حتى تسن القوانين من قبل مجلس الأمة التشريعي وذلك بعد تطهير البلاد من الحكومة المحتلة ويقوم المتصرف باعمال الإدارة ويراجع المجلس الحربي بكل ما يهمه ويحتاج للمراجعة به وتكون وظائفه حسبما ينص به النظام الذي سيكون معمولاً به حتى يجتمع المجلس التأسيسي في بغداد إن شاء الله والذي سيشترك فيه عموم اهالي العراق وبطريقة الانتخاب وقد قسم المجلس الحربي المناطق فجعل مدينة كربلاء منطقة وألحق بها طويريج والنجف وأبا صخير والشامية مع نواحيها وعين المجلس السيد محسن أبي طبيخ متصرفاً لهذا اللواء على أن يكون راتبه الشهري ألف روبية وبذلك يبلغ ليستلم وظيفته. التواقيع - أعضاء المجلس الحربي وبعد أن بلغ السيد أبو طبيخ وأذيع قرار المجلس في صحن الحسين الشريف واطلع عليه أهالي كربلاء خرج أبو طبيخ من داره متوجها إلى مقر الحكومة الذي كان يسكنه العثمانيون سابقاً وقد استقبلته جماهير كربلاء من الرجال والنساء بجميع طبقاتهم يهتفون بحياة زعيم الثورة والحرية والاستقلال وكانت المظاهرات تسير على طول الطريق والناس تهتف والشعراء ينشدون اشعارهم معبرين عن فرحتهم وحماسهم واحتفائهم بهذا اليوم المبارك ولما وصل السيد أبو طبيخ إلى مقر المتصرفية كان العلماء والاعيان وشخصيات كربلاء وعلى رأسهم أعضاء مجلس قيادة الثورة في استقباله وفي هذه الاثناء رفع العلم العراقي ذو الألوان الأربعة والذي وصفه الشاعر بقوله:

بيض صنائعنا سود وقائعنا ××× خضر مرابعنا حمر مواضينا وقام الحاضرون باداء التحية وبعد المراسيم الرسمية استقر السيد المتصرف على منصته واقبلت عليه الجموع لتقديم التهاني والتبريكات ثم قام سكرتير المجلس الإداري الأستاذ خليل عزمي فألقى قصيدته الرائعة التي جاء فيها: بشراك يا كربلا قومي انظري العلما

على ربوعك خفاقاً ومبتسما

وكفكفي دمعك الهطال وابتهجي

فان بند بني قحطان قد حكما

هذا هو العلم المحبوب فاحتفلي

عليه يا كربلاء واستنهضي الهمما

وشاهدي كيف امسى القلب مبتهجاً

من الحماس ويهفو أن يريق دما

وقد استقبلت هذه الابيات الرائعة بتصفيق حار وترحيب منقطع النظير من قبل الحاضرين وفي هذه الاثناء قام السيد علي البازركان وقد بذل كل ما بوسعه من مال لتوطيد أركان الثورة في بغداد حين أرادت السلطة المحتلة القبض عليه هرب منها لاجئاً لموطن الثورة ومركز انطلاقتها ومقر قيادتها كربلاء المقدسة فألقى كلمة مفصلة استنهض بها همم الحاضرين والمجاهدين الثوار قائلاً (السلام على الحفل الكريم ما اسعد حظي وما اجمل طالعي بهذه الساعة المقدسة وأنا واقف بين اخواني الاحرار الاعزاء أبناء الأمة العربية العراقية التي بذلت ما في وسعها من النفوس والنفائس لرفعك أيها العلم الحر لترفرف فوق رؤوسنا حياك ربي بتحياته الحسنى لقد بشرتنا بزوال ساعات الذل وكسر حلقات سلاسل الاستعباد. إن كل خفقة منك أيها اللواء المبارك تقول لنا (جاء الحق وزهق الباطل) اخفق على قطرنا المحبوب الذي كان يئن من ثقل وطاة المصائب كي يبتسم الجو الذي خنقته العبرات على ما شاهده من أنواع الظلم واشكال الاعتساف بين هذه الأمة انشر صفحاتك أيها العلم كي تظهر للملأ أن الحرية قد صارت حليفتنا وان الاستقلال التام صار إلينا رفرف ولا تخف بالحق لومة لائم فان هذه الأمة مجردة سيوفها مشمرة عن سواعدها لحفظ مقامك السامي ورفعك فوق أعلى قمة من هذا القطر المقدس. إن ألوفاً من الرجال وصفوفاً من الأبطال حاضرة لاراقة آخر قطرة من دمائها لادامتك وسلامتك.

ولو راينا المنايا في أمانينا بشراك أيتها

الأمة العراقية بحلول هذه الساعة المباركة التي رفع فيها هذا اللواء المقدس الحر الذي كنت طالبة رفعه منذ عدة قرون إن السعد قد رافقك وعلو الحظ حالفك. أيتها الأمة إن رفع العلم سهل ولكن ادامته فوق الرؤوس صعب. فيجب عليكم الآن بذل قصارى الجهد واسترخاص النفوس بدفع عدونا الأكبر من هذا القطر الشريف المقدس الذي بني من جماجم الأجداد واجسام الآباء ولقد سعدت كربلاء والنجف الأشرف وما هو إليهما باستنشاق هواء الحرية ورفع العلم العربي ولم تزل بغداد تئن وتبكي تحت ظلم الانكليز وسيطرة الدولة المحتلة ألا يا سادتنا وعلماءنا ألا يا رؤساء عشائرنا ألا يا زعماء امتنا المظلومة اسألكم بحق هذا العلم المقدس هل ترضون ببغداد والكاظمية وما جاورها أن تبقى تحت سلطة اجنبي غاياته درس مآثر ما بنته الجدود وجل مقاصدهم مص دم الشعب وجعلهم احقر من الهنود، بالله عليكم قوموا وانهضوا نهضة الأسود وانقذوا قطرنا المحبوب من ايدي أعدائه وارفعوا العلم فوق أعلى قمة فيه وبيضوا صفحات تاريخ عراقنا المبارك كي يتم السرور ونقول نلنا بغيتنا وما نتمناه لان النصر حليفنا واعلموا أن العراق للعراقيين ليحيا العلم العربي الحر .

وقد أثارت هذه الكلمة حماساً عند الحاضرين وأخذت مأخذها في قلوب المستمعين وعقد مجلس قيادة الثورة جلسته لوضع خطة لتحرير بغداد من الاحتلال البريطاني. وفي هذه الأثناء أمرت الحكومة البريطانية بعزل الكولونيل ولسن الحاكم الملكي في العراق وتعيين السير برسي كوكس خلفاً له ليمثل الحكومة البريطانية في العراق بصفته مندوباً سامياً ومهمته تأسيس حكومة عربية في العراق وتنفيذ مطاليب الثوار واحرار العراق وقد وصل السير برسي كوكس إلى البصرة في مساء اليوم الأول من تشرين الأول عام ١٩٢٠ عن طريق الميناء بحراً بعد أن قابل في طريقه الأمير عبد العزيز آل سعود في العجير التي كان يسكن فيها يومذاك وقابل أيضا الشيخ خزعل ثم توجه من البصرة بتاريخ ٥ تشرين الأول إلى بغداد عن طريق نهر دجلة فزار المدن والقرى الواقعة على ضفة النهر المذكور واتصل بأهلها حتى وصل بغداد في يوم ١١ تشرين الأول ١٩٢٠ فاستقبل في بغداد فألقا السير برسي كوكس كلمات قصيرة في جمع الحاضرين وكلهم من أهل بغداد جاء فيها: يا أيها المندوبون، إن دولة انكلترا ارسلتني للمساعدة والاتفاق مع اشراف ورؤساء العراق لنحصل على الغاية المطلوبة للعراقيين وتأسيس حكومة عربية مستقلة تحت نظارة حكومة انكلترا ولقد جئت لهذه الغاية ولكن ما زال الاضطراب فلا يمكن العمل وأنا حاضر للعمل عند سنوح الفرصة وهذا شيء بيدكم. وقد استغل علماء كربلاء المقدسة الفرصة فقدموا مذكرة إلى السير برسي كوكس الحاكم البريطاني الجديد مطالبين فيها بحقوق العراقيين جاء فيها:

حضرة ذي الفخامة السير برسي كوكس المعظم عمت عطوفته بعد تقديم الاحترام التام والثناء المستدام فإننا نأمل من هذا المقدم السعيد أن يكون مقدم السعادة للامة العراقية الشريفة فنظراً إلى أن الحقائق يجب أن لا تخفى على وزير معتمد عليه مثل فخامتكم فلذلك نتقدم إليكم ببيان نبذة مهمة مما هي عليه هذه الأمة بياناً منزهاً عن كل شائبة وريب وهي أن الأمة العراقية المعروفة باعتدال اخلاقها وشديد رغبتها إلى السلم والسكون وقد تحملت أثناء حاكمية جناب ولسن من امرائه اقسام القساوة وضروب الضرائب... إن أبواب الحروب لا يسدها غير تحرير الشعوب وتقدمت انكلترا وفرنسا بمواعيدها الرسمية المعروفة في تحرير العراق واستفتاء اهله عن رغباتهم في مصير حكمهم وشكله فأجابوا مراراً واعلنوا جهاراً انهم يريدون استقلالهم في الحكم الذاتي من دون تدخل الاجنبي... غير أن الحاكم ولسن قد استقبلها بالقسر والقساوة والاضطهاد وهتك حرمة كربلاء وغيرها كما هتك مقام الرئاسة الروحانية وساق بقوته العسكرية جماعة من العلماء والرؤساء بالاهانة حينها لم يظهروا عليه عصياناً وفيهم اكبر انجال حضرة آية الله العظمى الميرزا الشيرازي (قدس سره) دون أن يحاكموا بذنب لهم سوى طلبهم حقوق الشعب تلك الحقوق المشروعة التي بنى عليها ساسة الحلفاء صوح الهدنة والصلح العام وتعاقبت عليها مواعيدهم الرسمية ثم لم يقنع حضرة الحاكم ولسن بكل ذلك حتى ارسل عسكراً على الحاج مخيف وغيره من الصلحاء الاكابر فساق وقتل وحرق وفرق فثارت العشائر للدفاع عن النفس والنفيس وفي أواخر شوال الماضي صدرت الاوامر لنا أن نسافر بمنزلة سفراء من ناحية كربلاء المقدسة إلى بغداد للمفاوضة مع حاكمها في الاتفاق على صورة مشروعة تحفظ الحقوق وتحقن الدماء غير انه (الحاكم) مع الأسف خيب آمالنا السلمية وأبى إلا الشدة والانتقام فرجعنا باليأس ثم لم نسمع عند حضرة الحاكم حرفاً من شواهد حب السلم والمفاوضة إلا بعد ما عرض عساكره على القتل والاسر والحصار وأضر دولته الفخيمة اكثر من غيرها فلو اردنا سرد وقائعه وفضائعه لشغلنا اوقاتكم الشريفة لكننا نؤخرها إلى وقت اللزوم وإنما جرى القلم بهذه النبذة ليحيط علمكم السامي بما نحن فيه. وبعد يومين من وصول السير برسي كوكس إلى بغداد كان أول عمله إصدار بيان نشره في الصحف ووزعه بواسطة الطائرات على المدن المقدسة كربلاء والنجف والكاظمية ومناطق الثورة في الجنوب والعشائر العراقية هذا نصه: منشور عام إلى جميع طوائف العراق وعشائره إن فخامة نائب الملك السير برسي كوكس يعلن لجميع أفراد العشائر وطوائف العراق أن حكومة بريطانيا انتدبته ليعود إلى العراق لتنفيذ مقاصد الحكومة الثابتة بمساعدة رؤساء الأمة وتشكيل حكومة وطنية في العراق بنظارة حكومة بريطانيا ولقد يصعب جداً على فخامته تنفيذ منويات الحكومة البريطانية ما دامت بعض اقسام العشائر والطوائف في العراق تعادي الحكومة ونظن أن الأحوال الحاضرة تبعث على الشكوك الواهية التي تخامر أفكار بعض طبقات الأمة في نوايا الحكومة البريطانية ويعتقد فخامته انه يتوصل لإزالة كل شك أو ريبة خامرت أفكار الذين قابلوه حتى الآن ولا يعلم فخامته غرض العشائر الذين يشغلون أنفسهم بالحرب فإذا كان هناك سوء مفهومية يمكن أزالته فيسر فخامته أن يبلغ العشائر ذلك إليه بواسطة اقرب حاكم سياسي إليهم. وفي ٢٧ محرم عام ١٣٣٩ هجرية حصل نزاع بين رؤساء قبائل بني حسن فكتب قائم مقام طويريج السيد علي العفصان رسالة إلى الشيخ عبد الواحد الحاج سكر يستنجد به وهذا نص الكتاب: لحضرة الفاضل عبد الواحد الحاج سكر المحترم بعد اهداء التحية اخبركم انه حدث انشقاق عند عشائر بني حسن فيما بينهم وأرجوك تحضر حالاً أنت بذاتك لحل هذا الخلاف وعند مجيئك سافصل لك ما سمعته عن أسباب هذا الخلاف والسلام. علي العفصان - ٢٧ محرم ١٣٣٩ وعند استلام هذا الكتاب توجه الشيخ عبد الواحد الحاج سكر من الوند إلى طويريج لحل الخلاف وقد استفاد العدو من الخلاف الناشب واحتل جيش الانكليز مدينة طويريج. وحين وصل خبر سقوط مدينة طويريج إلى المجاهدين في الوند انسحب الثوار من الوند إلى مدينة كربلاء المقدسة للدفاع عن مدينة الحسين(ع) وتكون قاعدتهم السليمانية التي تبعد عن كربلاء خمسة أميال وعن طويريج عشرة اميال ولكن مجلس قيادة الثورة في كربلاء شكك في إمكانية انتصار الثوار واراد أن يتفاوض مع قوات العدو لعدم اراقة دماء الأبرياء من الناس العزل إلا أنه لم تنجح محاولة المفاوضات وبعد أن تقابل الفريقان ونشبت حرب طاحنة بين اهالي كربلاء وقوات العدو كانت النتيجة سقوط كربلاء ودخل جيش الإنكليز مدينة كربلاء واطلقت نيران المدافع والرشاشات على الناس والبيوت والمحلات عشوائياً واشتركت الطائرات التي كانت ترافق الجيش بالقاء قنابلها على المدينة وظل الجيش يطلق النار وقبل وصول الجيش إلى كربلاء تمكن كثير من الأحرار من الخروج من المدينة ثم قامت القوات الإنكليزية بتطويق كربلاء من جهاتها الأربع بالمدافع والاسلاك الشائكة. وما أشبه اليوم بالبارحة، إذ تعيش كربلاء فصولها الدامية التي ورثتها من التاريخ لأنها لا تستطيع إلا أن تعيش حرة عزيزة تأبى الذل والهوان مهما توالت عليها الضربات والهجمات. إن تاريخ العراق الحديث وبالخصوص ثورة العشرين يؤكد الكثير من الحقائق والعبر منها:

إن دور العلماء في الحركة السياسية والاجتماعية دور أساسي لا ينفك عن حركة الشعب العراقي باعتبارهم المظلة الشرعية التي يستند عليها التحرك النهضوي، ولولا تحرك العلماء بقيادة الميرزا الشيرازي لما قامت ثورة العشرين المظفرة.

إن ثورة العشرين مثلت تجسداً وحدوياً كبيراً بين كافة فئات الشعب ومختلف طبقاته حتى اصبح صوتاً واحداً انبثقت منه قوة ضارعت أقوى جيش استعماري في ذلك العصر وأذاقته الذل والهوان. وهذه الوحدة هي التي تكون قادرة على انقاذ العراق من محنته اليوم.

إن ثورة العشرين كانت قوية في انطلاقتها وحركتها، ولكن لم يستطع أبناء الثورة استثمار النصر لعدم وجود المؤسسات والاحزاب المنظمة جيداً بحيث تتحول إلى مؤسسات حكم تراقب وتشارك في عملية اتخاذ القرار.

كشفت الثورة أن لا حقيقة للوعود المعسولة التي يطلقها المستعمر ومن خلفه اتباعه. وكشفت كذلك عن أن الإرادة الهادفة، والعزم الأكيد قادران على هزيمة القوة الغاشمة التي تفتقد لأي حق أو مصداقية في صراعها مع حقوق الآخرين.

شاعر ثورة بغداد ضد الاستعمار البريطاني

يكتبها: عبدالقادر البراك

كانت صحف بغداد ذات الاتجاه القومي ضد قيام الحكم الملكي في العراق يوم نصب الامير فيصل بن الحسين ملكاً على رأس هذا الحكم تطالع القراء بمقالات في السياسة الوطنية والعربية يشار في صدرها الى انها بقلم الاستاذ صاحب التوقيع وكان التوقيع الذي تذيل به كل مقالة هو الرقم ٥٦٢

شيخ الصحافة عرفني به:

وعلى الرغم من ان الصحف كانت تخلع على صاحب هذه المقالات النعوت التي تشير الى عظيم تقديرها له ولما يكتب وعلى الرغم من ان بعذ هذه المقالات على جانب كبير من الاهمية فقد كان القراء يستغربون من زهادة كاتبها بحيث لايصدرها او يوقعها بأسمه الصريح!

•وقد تعرفت على هذا الرجل عن طريق شيخ الصحافة العراقية انذاك المرحوم رزوق غنام صاحب جريدة (العراق) التي كنت اكتب فيها بعض المقالات في الاربعينات فأذا هو مقال الرجل الخلوق المتواضع الوديع في تعامله والمجادل العنيف حين يجد من يتصدى للنيل من بعض رموز القضية العربية وكان هذا الرجل هو الاستاذ عيسى عبد القادر احد كبار موظفي الاوقاف الحريص على الالتزام بالقانون الذي يمنع الموظف من الكتابة بالمواضيع الاساسية!

•ولما كانت السياسة تجري في دمه- كما يقولون- ولا يستطيع ان يكتم اراءه في العديد من شؤونها فأنه كان يكتب بتوقيع مستعار وهو الرقم الذي تتألف منه حروف اسمه بما يسمى بحروف (الجمل) المستعملة في بعض الاعمال السحرية وفي التواريخ الشعرية التي لم يبق من يجيدها بين شعراء العالم العربي في العصر الحديث وعرفت من الاستاذ غنام ان هذا الرجل هو الشاعر الذي الهب عواطف جماهير بغداد فقامت بدروها المشهود في الثورة العراقية ضد الاستعمار البريطاني.

وكانت قصيدته قد حملت السير برسي كوكس على نفيه الى البصرة ولكن عقوبة النفي لم تمنعه من الاسهام في تحرير احدى صحف البصرة بجهاده الوطني في ماكان ينشره من مقالات وتعليقات تضايق سلطات الاحتلال!

قال.. وقلت!

•وقد توثقت صلتي بعيسى عبدالقادر الذي كان يواصل الكتابة في معظم الصحف التي توليت مسؤولية تحريرها وكان يختار لمقالاته عنواناً ثابتاً مثل (اقوال في امثولة) يعلق فيه على تصريحات الساسة واقوالهم او عنوان (قال.. وقلت) وهو الذي يستعمل فيه (اسلوب الحوار) على طريقة توفيق الحكيم في حديثه او عصاه او عنوان (مما اسمع واري) وهو ماكان يدون تحته مقالاته حول مايسمعه ويراه مما له علاقة بالقضايا العامة.

سر المهنة

•وكانت مقالاته على جانب كبير من الاهمية بحيث اذهلت المسؤولين انذاك واذكر ان المرحوم علي ممتاز الدفتري- واكن عضواً اجرائياً في مجلس الاعمار- سألني مرة عن هذا الذي يكتب مقالات تذهل اعضاء المجلس في المعلومات التي تتضمنها مقالاته فكنت اجيبه ان (سر المهنة) يمنعني من البوم بأسمه.

جريدة البلد حزيران 1965

ثورة العشرين

من خلال "لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث"

علي الشيخ ابراهيم

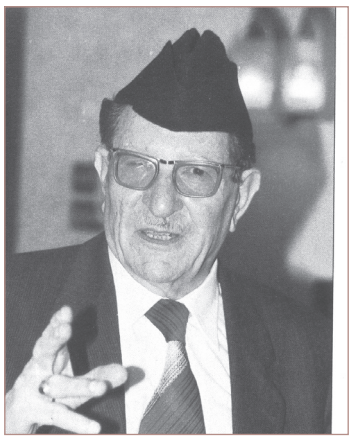

حينما يتعامل البياع –الخضار في سوق "خضار ينحصر تفكيره بـ (الربحية) قبل كل شيء والا فأنه يعتبر التعامل في مثل هذا الميدان نوعا من السحت نفس الشيء عمله الدكتور علي الوردي في الجزاء الخامس – القسم الاول من كتابه: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، فقد صور المساهمين في ثورة العشرين وكأنهم مجموعة من البياعين – الخضارين يتعاملون في سوق الخضار ومن خلال التفكير المحض والربحية من دون سواها.

فشيخ العشيرة –مثلا – لم يشترك في في عرف الدكتور في الثورة الا بفعل الصلافة والتصرف الاهوج الذي لقيه من بعض المسؤولين الانكليز في البلد أو نتيجة اهانة لحقته منهم بصورة خاصة (ص٣٢، ١١٧) او لان غريمه الرئيس الفلاني قد صار من مؤيدي الانكليز فاضطر هو الى اتخاذ موقف مغاير لموقف غريمه فصار من الثائرين (ص٢٦٣) او لان المسؤولين البريطان قد جردوه من قطعة ارض يملكها فلم يبق امامه سوى النظر الى ارنبة انفه فأضحى في النهاية من الثائرين (راجع ص ١٢١) عن كيفية انضمام عبد الواحد الحاج سكر للثوار) او لان الانكليز قد فضلوا احد منافسيه عليه في رئاسة العشيرة فسلك لهذا درب الثورة (ص٢٦٣) وعلى هذا الغرار كذلك صار علوان الحاج سعدون احد رؤساء عشيرة بني حسن مع الثوار لانه تلقى منهم الف ليرة قدمت اليه كرشوة (ص٢٤٤ و٢٥٦) كما اعلن شقيقه عمران الانضمام الى الثورة بعد ان رأى انه لايستطيع ان يحتفظ بسمعته ومكانته اذا ظل بعيدا عن الثورة) (ص٢٦١).

كذلك الحال مع العالم الديني فانه حينما انجر الى حلبة الثورة لابد انه كان يحمل في دخيلته مأرباً ذاتياً لان الملائي يعلم علم اليقين ان قبوله أي مبلغ من الانكليز سوف يؤدي الى هبوط سمعته بين الناس، ومعنى هذا ان خسارته في الامد البعيد ستكون اكثر جدا من الربح العاجل الذي يجنبه من الانكليز (ص٣٨) نفس التعليل تمسك به الدكتور الوردي مع الشعراء الذين انضموا الى الثورة، فبعد ان تأكد هؤلاء ان اتجاه الرأي العام اخذ ينمو ضد الاحتلال صاروا) يرون مصلحتهم في مسايرة هذا التيار فقد وجدوا ان الاجور التي يحصلون عليها من جريدة العرب لاتكفي للتعويض عن الخسارة المعنوية التي تصيبهم من جراء مدحهم للاحتلال ولهذا اخذوا ينظمون القصائد في مدح الوطن وفي الشكوى من ظلم الانكليز) (ص٤٣) ولان الشاعر: (كصاحب اية مهنة يريد ان يكسب رزقه بها او ينال المكانة الاجتماعية، ولا لوم عليه في ذلك اذ هو بشر يريد ان يعيش ، وليس من الانصاف ان نتوقع منه خلاف ما نتوقعه من غيره من البشر.. فالناس جميعا يركضون معهم) (ص٤٤) وحتى اضطلاع عدد كبير من السادة الفراتيين بدور فعال في الثورة كان يفعل اضطرارهم لا ستجابة دعوة الجهاد في سبيل الله وقبل غيرهم خوفا من ان يفقدوا مكانتهم الدينية في نظر العشائر (ص١١٦) ولولا ازدراء الانكليز للسيد نور– الرجل البارز في الفرات الاوسط وصاحب الدور الفعال في الثورة –لربما صار حسب تصور المؤلف في غير ساحة الثورة (ص١٢٠) وابن الشارع لابد ان ينظر هو الاخر الى مصلحته الذاتية قبل الانحراف مع الثوار، وكذلك المثقف الثوري لاينظم الى الثورة الا بعد ان يتهم من قبل الانكليز بالاختلاس! او يعامل من قبلهم بفضاضة!! (ص١٤٩) ..وهكذا دواليك – والانكى من كل هذا ان المناداة بالثورة المسلطة في الفرات الاوسط ذاتها وعلى يد السيد علوان الياسري قد جاءت –كما يعتقد الدكتور – بفعل الاهانة التي وجهها ابو صخير الانكليزي العسكري لرجل من الوجوه حين طرده من امامه ذليلا!!

اما السند الذي ارتكن عليه المؤلف في استنباط مثل هذه التفاسير للاحداث فلا يعدو: (ربما، قيل، يقال، على ما ذكر) وغيرها من الصيغ التي غالبا ما تقف وراءها مصادر بريطانية سداها ولحمتها اقوال وتخريجات بعض اساطين الانكليز من امثال: ولسن هالدين، بيل، هذا يعني ان المؤلف لم يعر الشعور القومي والتفاعل الوطني والتأثير الاقتصادي والاندفاع الذاتي. اية اهمية لهذا بدت الثورة من زاوية نظره طبعاً وكأنها جملة احداث متلاحقة متداخلة قامت على اكتاف مجموعة من المؤمنين بالربحية فحسب الامر الذي جعلها مشوهة خالية من نكهة القدسية وانكار الذات..مثل هذا التفسير لوقائع الثورة يذكرنا بمسلك المؤرخ المعروف جرجي زيدان فقد

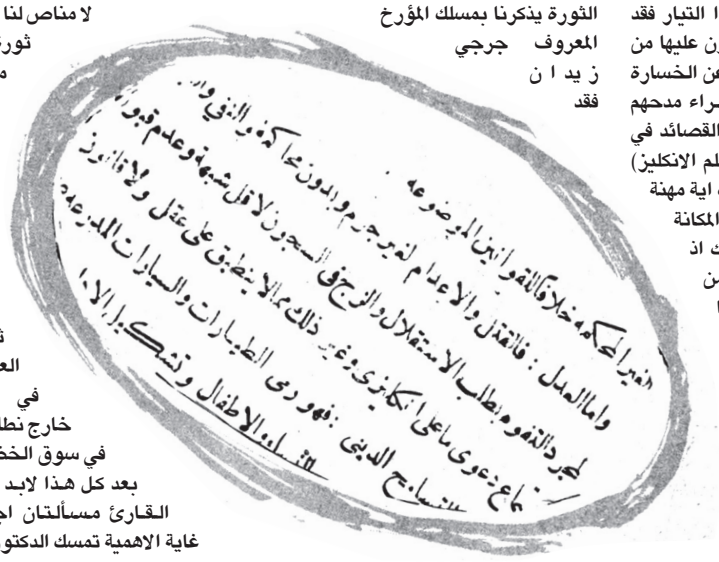

دأب في اكثر من مؤلفاته على اقران الشخصيات العربية الاسلامية المرموقة بغانية فاتنة أو امرأة لعوب او زوجة ذات مكر ودهاء وجمال فبدا على اثر ذلك التاريخ العربي الاسلامي وكأنه مجموعة مشوهة من الوقائع الخالية من الجلال وتجاهل الذات".

هنا يطرح السؤال التالي نفسه بالحاح؟ لماذا تمسك الدكتور الوردي في تشريح احداث الثورة بمثل هذا التفسير الاحادي الجانب المبني على الاخذ والعطاء او التلقي والاستجابة فحسب؟؟ اكبر الظن ان الدكتور نسي ان الثورة – اية ثورة– هي غير الانقلاب، غير التمرد.. غير الاضطراب، وان لكل كلمة من هذه الكلمات مدلولها الخاص ولو انها بجملتها تنطوي تحت مصطلح (الحدث) فحينما يسمع القارئ كلمة الثورة – نشدان تغيير المجتمع – لابد ان تنطبع امامه قدسية خاصة دونها القدسية التي قد تنبعث من مداليل: الانقلاب ، التمرد، الاضطراب، بمعنى اوضح ان لكل مدلول من هذه المداليل خصوصياته ومميزاته التي تفرقه عنه وان القدسية والاجلال والاحترام.. هي نتائج طبيعية ولصيقة لكلمة الثورة ونحن حينما نصف الحدث الذي وقع في عام ١٩٢٠ في البلد العراقي بالثورة– على غرار ما عمله الدكتور كذلك – لابد اننا ندرك سلفا حصول مثل هذا الانطباع المجلبب بالوقار والاعتزاز والا لوجب ان ننعت هذا الحدث بكلمة غير كلمة الثورة، حينما نؤمن بهذا – وهو امر لا مناص لنا منه – تكتسب ثورة العشرين مدلولها الطبيعي المتأتي عن العوامل عديدة لا تخضع للتفسير الاحادي الجانب ومن ثم تصبح العملية الثورية في عام ١٩٢٠ خارج نطاق عملية البيع في سوق الخضار..

بعد كل هذا لابد ان تثور امام القارئ مسألتان اجتماعيتان في غاية الاهمية تمسك الدكتور تلقاءهما بما يشبه الصمت المطبق:–

المسالة الاولى – وجوب الوقوف على سر استقطاب الثورة لاعداد هائلة من ابناء البلد حتى صار الثائر يقذف نفسه الى الموت وهو نشوان، فكيف حصل كل هذا يا ترى؟ وما الربحية التي دفعت الثوار الى اقتحام مثل هذه المخاطر؟ وهل هناك تضحية اكبر واغلى من حياة الانسان نفسه؟ وكيف ارتقى عدد الثوار– والحالة هذه –الى اكثر من مئة وثلاثين الف شخص في الفرات الاوسط وحدها وضمن مدة قصيرة نسبيا؟ ولماذا وكيف اربت خسائر الثوار على ٨٥٤٠ رجلا بين قتيل وجريح حسب اعتراف الاستاذ الوردي نفسه؟

المسألة الثانية – لقد اكثر الدكتور –كما رأينا –من القول بأن غضب الجماهير كان وراء ثورية اغلب رؤساء العشائر والوجهاء، والسادة وحتى العلماء ولكن دون ان يكلف نفسه عناء البحث عن العوامل الحقيقية التي جعلت مثل هذه السمة لصيقة بالجماهير الى درجة ان اعيان المجتمع ووجهاءه بدأوا يخشون مرددي هذه السمة مع انهم كانوا هم الذين يوجهون اولئكم الجماهير الذين كانوا في مستوى ثقافي ادنى بكثير من المستوى الثقافي الذي كان عليه هؤلاء الموجهون فكيف وقع كل هذا؟

ولماذا اغفل الدكتور اعطاء التفسير الاجتماعي لمثل هذه الظاهرة التي امن بها ورددها اكثر من مرة؟

واخيرا هناك مثلبة تاريخية مهمة وقع المؤلف اسيرها بشكل من الاشكال فثورة العشرين التي صدرت حولها دراسات ومؤلفات كثيرة تفوق بكثرتها ما صدر حول أي حدث اخر من تاريخ العراق الحديث (ص٣)..هذه الثورة قد ابتليت بتباين وجهات النظر حول حل الوقائع التي تشكل عمودها الفقري، نتج ذلك بفعل صدور كتاب ما ثم تلاه صدور العديد غيره للرد عليه وتسفيه الاراء التي جاء بها فكتاب فريق مزهر الفرعون (الحقائق الناصعة في الثورة العراقية) مثلا والذي اكثر الدكتور من الاعتماد عليه قد اعقبه صدور العديد من المؤلفات التي تولت الرد عليه وتقويم اعوجاجه مثل: (الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، البطولة في ثورة العشرين، على هامش الثورة العراقية الكبرى..).

كما صدرت مظان اخرى سفهت الكثير من الاراء التي جاءت في هذه المراجع ذاتها فضلا عن عشرات المقالات والبحوث التي اضطلعت للرد على هذا الرأي أو ذاك.. معنى هذا ان المتمعن في مصادر ثورة العشرين يجد امامه مجموعة كبيرة من الاراء المتناقضة المتضاربة على نحو ما اشار اليه المؤلف نفسه عشرات المرات.. الى درجة ان الواقعة الواحدة بدأت تلفها وجهات نظر عديدة لا تشبه الواحدة منها اختها لهذا يستلزم الاستناد إلى اية واقعة التأكد من صحتها قبل كل شيء والا يصبح الارتكان عليها لاستنباط تفاسير اجتماعية سليمة شكلا من اشكال التوكل الذي لايقوم على اساس متين ومن ثم تكون اللمحة الاجتماعية المنتقاة هكذا بعيدة كل البعد عن جادة الصواب كما حصل بالفعل مع الاقتباسات التي اكثر المؤلف منها..

هذا يعني ان الدكتور قد اقتبس الكثير من لمحاته الاجتماعية من هذه المراجع المتضاربة قبل ان يتأكد من صحة الوقائع المنتقاة لهذا جعل قلمه جزءاً من الفوضى التي تسود هذه المراجع، أي انه بفعله هذا قد اسهم في تعميق الفوضى التاريخية القائمة حول الكتابات الخاصة بثورة العشرين.

الجمهورية
78/6/30

محمد باقر الحلي ودوره الكبير في ثورة العشرين

رفعة عبد الرزاق محمد

ما أن اقرا شيئاً عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ . حتى يمرّ بذهني أسم له دويّ في حوادث الثورة والتحريض عليها . وله من القصائد الوطنية ما يعد في طليعة شعر الثورة . غير أن احداً لم يكتب عن هذه الشخصية الفذة .. انه السيد محمد باقر الحلي . ولعل من المهم بيانه ، ان عدداً من مؤرخي الثورة ، اعتبره السبب الرئيس في اندلاع الثورة في منطقة الشامية ، لتصبح مركزا للثورة كلها .

قال عنه السيد هادي مكوطر – أحد زعماء ثورة ١٩٢٠ – ان ثمن السيد محمد الباقر كان يساوي مئات المدافع والرشاشات ، فهو الوحيد الذي استطاع ان يلهب الحماس في الحجر الاصم . ولعل اهم من فصل موقفه في الثورة هو السيد محمد علي كمال الدين فيما كتبه عن الثورة ورجالها . وتناول شعره الثوري من كتب عن شعر الثورة واشاد به ، غير أن مقالة مستقلة عن حياته ودوره في الثولارة ، لم تقع عليها ، على الرغم من خطورة الدور وأهميته . وسنقف في هذه المقالة السريعة على شيء من سيرته .

وهو السيد محمد بن باقر بن ناصر عزام المحسيني ، ولد في الحلة ، محلة الطاق ، احدى محلات الحلة العريقة سنة ١٨٩٤ ودخل كتاتيبها ثم درس بعض العلوم الدينية والعربية على يد عمه . وكان من رجال الدين المعروفين في مدينته وهو السيد حمود الناصر . كما درس بعض الشيء على يد الشيخ عبد الكريم الماشطة ، الجه الحلي المعروف . ومنذ وقت مبكر بدت عليه علامات حب الادب

وفي أوائل الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧ عين معلماً في مدرسة الحلة الابتدائية . واخذ فيها يبث في نفوس طلابه الروح الوطنية ونبذ الاحتلال الاجنبي وأنتهى الامر بسجنه من قبل سلطة الاحتلال ثلاثة اشهر . زادت من ايمانه بموقفه الرافض للاحتلال . وسافر بعدها الى مدينة النجف لاكمال دراسته الدينية ، فوجدها تعج بالنشاط السياسي المناوىء للاحتلال . وكان امراً طبيعياً ان يدخل العمل السياسي والاتصال بزعماء الحركة الوطنية فيها .

وحدث ان زار اهله في الحلة ، فوجد أثناء الزيارة اجتماعاً وطنياً في جامع الحلة ، فشارك فيه ملقياً خطبة حماسية جريئة ، اهلته لدخول السجن ثانية وللمدة نفسها التي سجن بها سابقاً . غير انه استطاع هذه المرة الهرب من سجنه . عاد الى النجف ، في اجتماع وطني كبير في مسجد الهندي بألقاء خطبة ثورية وقصيدة وطنية مطلعها:

ياشعب كيف حمى عِلاك يرام
وبنوكَ بعد العزّ كيف يضام
ومنها

هم يطلبون على العراق وصايةً
عجباً فهل ابناؤه أيتام

وقد أثارت هذه الابيات حماس الحاضرين واستعادوها مرات عديدة . وبعد هذا الاجتماع شعر السيد محمد باقر الحلي ان السلطة له بالمرصاد ، فآثر الهرب الى منطقة المشخاب ، والتجأ لدى السيد علوان الياسري الشخصية الوطنية والعشائرية الكبيرة ، الذي رحب به وكرمه واسكنه في منطقة تدعى (ام رغلة) ، ففتح فيها مدرسة لتعليم ابنائها ، وكان من سرور السيد علوان الياسري ان سجل فيها ابنه عبد الحميد الياسري .

ويبدو ان صلته بالحركة الوطنية في النجفلم تنقطع ، ويذكر السيد محمد علي كمال الدين في مذكراته ان الحلي كان مندوباً عن المكتب الوطني النجفي في منطقة المشخاب وفي اثناء وجوده في كنف السيد علوان اليلاسري ، بدأت مقدمات الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ وسنذكر موقفه بعد قليل .

وبعد القضاء على الثورة وانتهاء حركاتها العسرية ، هرب الكثيرون ممن اشتركوا في الثورة من زعماء وادباء وعلماء دين ، فكان محمد باقر من جملة من هرب الى (المحمرة) ، غير انه ما لبث ان عاد الى البصرة متخفيا ً بأسم مستعار ، وعمل في التعليم . وبعد صدور العفو العام عن المشتركين بالثورة ، غادر البصرة الى بغداد وعين معلماً في المدرسة الجعفرية الاهلية ، والتحق في الوقت نفسه بمدرسة الحقوق وتخرج فيها عام ١٩٢٥ .

وأصدر في ٧ ايلول ١٩٢٤ . جديدة (الأب) وهي جريدة انتقادية أدبية تصدر في الاسبوع مرة ، ثم صدر منها عددان آخران وتوقفت من تلقاء نفسها . وفي ٦ شباط ١٩٢٥ اعاد الحلي اصدارها وكان السيد كامل السامرائي محررها ومديرها المسؤول ، لكنها لم تعش طويلاً وتوارت عن الانظار .

لقد أنطفأت جذوة الماس لدى السيد محمد باقر الحلي

بمرور الزمن ، حتى لنجد خطبه في المجلس النيابي ، وقد أنتخب نائباً عن الحلة (حزيران ١٩٣٩ – حزيران ١٩٤٣) قد ضعف فيها الاندفاع الوطني ، بل وقف بعض المواقف التي قد تحسب عليه ولم يكن ذلك بدعاً ، فقد وجدنا الكثير ممن شارك في الحركة الوطنية في عهدها الاول قد انتهى الامر به الى مواقف مترددة وضعيفة (١) غير ان نشاطهم الوطني في عهد التاسيس في ظروف صعبة وحرجة لا تنسى ابداً .

وعندما تداول مجلس النواب ، قضية تعديل الدستور بحيث يمنح الملك سلطة إقالة الوزارة ، وهو المقترح الذي قدمه نوري السعيد الى المجلس بعد انتهاء حركة مايس ١٩٤١ ، وهو الامر الذي ينطوي على اعتداء على سلطة المجلس النيابي باعتبار أن الوزارة مسؤولة امامه وحده . لم يكتف بعض النواب بذلك بل اعترضوا على المقترح ورأوا ان تكون سلطة الملك مطلقة لا يقيدها ، وكان السيد محمد باقر من هؤلاء النواب .

وفي عام ١٩٤٣ لم تجدد نيابته فعاد الى المحاماة كما أصبح عضواً في غرفة زراعة الحلة . واستقر في الحلة الى ان توفي في ٢٧ كانون الثاني ١٩٦١ ودفن في مقبرة النجف . وهو شقيق الاثاري الكبير طه باقر . وذكر الاستاذ سالم اللالوسي في كلمة له ان مؤرخ الحلة الشيخ يوسف كركوش الحلي كان يلح على السيد محمد باقر بوجوب جمع ديوانه وكتابه مذكراته عن الثورة ، وكان جوابه انه يسعى الى ذلك .

موقفه في ثورة 1920

ذكر عدد من مؤرخي الثورة العراقية عام ١٩٢٠ انه بعد ان القت السلطة المحتلة القبض على السيد محمد رضا نجل المرجع الديني الكبير الميرزا الشيرازي ، بدأ نشاط زعماء منطقة الشامية بعقد مؤتمرات المذاكرة ول الموقف من السلطة . فأجتمع الزعماء يوم ٢٥ حزيران ١٩٢٠ عند الشيخ عبد الواحد الحاج سكر ، وهم السيد علوان الياسري والسيد هادي زوين وغيرهما .

وكان السيد محمد باقر الحلي آتيا ً من كربلاء فاراً من وجه السبطة بعد القاء القبض على ابن الشيرازي ، فارسله (مكتب الثورة) في النجف الى الشامية لتحريض زعمائها ، فاجتمع بهم في مجلس الحاج سكر المذكور . وحدثهم عن الموقف وقرأ لهم جريدة كانت معه . فاذا بالشيخ علي المزعل رئيس عشيرة الغزالات يقاطعه : ياحضرة السيد محمد الباقر انت تقرا لنا حوادث الاجانب واخبارهم واعمالهم ، ونحن نريد الان بدورنا ان يقرا الاجانب حوادثنا واخبارنا . فقطع الحلي قراءته ، وانبرى السيد علوان الياسري قائلاً : ان الكأس قد امتلأ ولا بد ان ينسكب ماؤه .

وعقب هذا الاجتماع كثرت المراسلات بين زعماء العشائر من المسّيب الى الرميثة ، فعقدوا مؤتمرا كبيراً في مضيف الشيخ الحاج رايح العطية ، ضم جميع رؤساء عشيرة الخزاعل (اسماؤهم مذكورة في كتب تاريخ الثورة . كما حضر الكابتن (هوبكنز) ممثلاً عن الحكومة . وقد طلب منهم الحضور الى منطقة ابو صخر . فرفض الجميع وقالوا : انهم لا يأمنون على انفسهم بعد اعتقال ابن الشيرازي . وطلبوا من ممثل الحكومة المحتلة تبليغ الحاكم السياسي ان يجتمع بهم اذا شاء في المشخاب .

وبعد يومين او ثلاثة اجتمع الرؤساء لدى عبد الكاظم الحاج سكر . وحضر الاجتماع الحاكم السياسي للشامية والنجف وحاكم ابو صخر . وحدث ما لم يكن في الحسبان ، فما ان التأم المجلس حتى صعد السيد محمد باقر الحلي المنبر المنصوب في المضيف بدون استئذان . وانشد قصيدته الشهيرة ومنها .

بني يعرب لا تأمنوا للعدا مكرا
خذوا حذركم منهم ، فقد أخذرا الحذرا
يريدون منكم بالوعود مكيدة
ويبغون – ان حانت بكم فرصة – غدرا
فلا يخدعنكم لينهم ، وتذكروا
اضاليلهم في الهند والكذب في مصرا
يخوض عباب البحر من الدرا
ويلقة ضلال الليل من عشق الزهرا
ومن مات دون الحق ةالحق واضح
اذا لم ينل فخراً فقد ربح العذرا

ثم خاطب الشاعر زعماء الخزاعل : يا زعماء الخزاعل ان قبيلتكم كانت تسمى خزاعة ، وقد دخلت في بيعة النبي الكريم ، وكان الحلف بين النبي وقريش الا يؤذوا من حالفهما ، وحين تعرضت خزاعة لأذى قريش قال النبي : لا ينصرني ربي ان لم أنصر خزاعة . فجيش جيوشه على مكة حتى تم له فتحها .. وانتم يا زعماء الخزاعل انتصر لكم النبي وغضب لا جلكم . فمتى تنتصرون له ؟ اما أن لكم ان تنصروا محمدا ؟ ..

وعندما استثارت حمّية الحاضرين ونهضوا يهزجون بالهوسات بحضور ممثلي السلطة المحتلة الذين اسرعوا الى ترك المكان .

ويقول محمد علي كمال الدين ، ان قصيدة محمد الباقر الحلي وخطبته الرائعة هي الشرارةو التي اتدلعت منها تيران الثورة ، مان لموقفه الحماسي الجسور دويّ هائل في البلاد ، ولا سيما لدى القبائل التي أخذت تتحدث عن قصيدته خطابه .ز وقد جعل الزعماء من بداية الثورة في الشامية .

ومن الطريف ذكره هنا ان محمد باقر الحلي لم يكن مدعوا الى ذلك الاجتماع الخطير ، واما دسّ نفسه دسّاً على غير رغبة المجتمعين من الرؤساء ، فعندما شعر انه سوف يحرم من حضور الاجتماع ، تظاهر امام تلميذه السيد عبد الحميد الياسري نجل السيد علوان الياسري لانه يحسن اللغة الانكليزية ، ثم انشد له نشيدا ادعى انه بالانكليزية وفسره بقوله ان الانكليز يدعون انهم سادة البر والبحر وانهم نزلوا من السماء ولا يمكن لأمة استعبدوها ان تتخلص من براثنهم . وصور الباقر الحلي النشيد بشكل مؤثر ، فابكى تلميذه . وعند ذلك عرض عليه ان في امكانه المشاركة في تخليص البلاد من الانكليز بان يرجو اباه ان يحضر هو واستاذه اجتماع الزعماء ، فتوسل عبد الحميد الى ابيه باكياً ، فرضخ السيد علوان الياسري لتوسلات ابنه واخذه مع استاذه الى الاجتماع .

أهازيج ثورة العشرين

صورة نادرة لزعماء ثورة العشرين

نجدت فتحي صفوة

من العادات التي يكاد يختص بها الشعب العراقي، من سكان المدن او ابناء العشائر على السواء، هو انشاء الاهازيج (او كما تسمى بالعامية "الهوسات") التي يرددونها حينما تسود جماهيرهم روح الحماسة او الهياج في المناسبات السعيدة او الاحداث المؤلمة، وفي اوقات الحروب او الغزوات، والتجمعات العامة، الواسعة منها والصغيرة. وتنطوي معظم هذه الاهازيج على معان عميقة ومغاز بعيدة، وكنايات حكيمة، وكثيرا ما تتضمن بعض المحسنات اللفظية كالتورية والجناس.. ولا يعرف قائلو هذه الاهازيج او مؤلفوها على وجه التحديد، فهي تنبثق عن وجدان الشعب على لسان اشخاص مجهولين لاشك انهم يتمتعون بذكاء حاد وموهبة خاصة في صياغتها. وكان رجال العشائر ونساؤها، يرتجلون هذه الاهازيج في المناسبات المختلفة، وهي تتضمن التفاخر بالعشيرة ونسبها وبسالتها، والنيل من اعدائها او التهكم عليهم او تجريدهم من الفضائل.

ويدعى ناظم الاهزوجة . او "الهوسة" . "المهوال" ، ولعل التسمية تدل على المدهش او الكثير الهول.

وكان من اهم المناسبات التي تظهر فيها هذه الاهازيج وتنتشر هي ظروف الحرب او الغزو بين العشائر بصورة خاصة، ولكنها تظهر ايضا بين سكان المدن في المناسبات المختلفة، وخاصة خلال التظاهرات والاجتماعات العامة حيث تسود "نفسية الجماهير". وتنشد الجماهير هذه الاهازيج بصوت واحد، ولها وزن معين رنان، وهي اذا زادت عن مقطع واحد تكون مقفاة. كما انها تنشد بنغمة خاصة او ايقاع معين معروف. وتحتوي معانيها احيانا على نصائح او عبر، او تنبيه للسلطة الحاكمة او شيخ العشيرة، كما قد تتضمن حكمة شعبية، او ترثي قتيلا، او تستثير نخوة، او تطالب بثأر، او تشجع على قتال، او تحرض على عمل من الاعمال.

وكانت الثورة العراقية في عام 1920 ضد الاحتلال البريطاني والحكم الاجنبي من المناسبات الوطنية المهمة التي انتشرت فيها الاهازيج الوطنية والسياسية، فرددتها الجماهير، وتناقلتها الافواه. ولعل من اشهر تلك الاهازيج قولهم "الطوب احسن لو مكواري" (والطوب معناه المدفع، وهو كلمة تركية انتشرت في العراق كثيرا) ولكنني لا استطيع ان اجزم هل ظهرت هذه "الهوسة" خلال ثورة العشرين ام عرفت قبلها، حينما كانت العشائر تصطدم بقوات الدولة العثمانية احيانا.

وفي بداية الثورة، حينما كانت العشائر الثائرة في اوج حماستها، والقوات البريطانية تتراجع امام الثوار، انتشرت "هوسة" مفادها ان الانتصار على الانكليز سيكون هينا الا اذا استنجدوا بالامريكيين، وكانت جماهيرهم تردد:

"بس لا يتعلك بامريكة"

(يتعلك: يتعلق)

ولكن حينما تراجع الثوار امام القوات البريطانية التي استعانت عليهم بما وصلتها من تعزيزات واسلحة حديثة وطائرات، صور احدهم حالتهم قائلا:

"كطان حميد صرت آنه"

اي انني اصبحت مثل "كطان" حميد، والكطان . او "القطان" . نوع من السمك معروف في جنوب العراق. وهذه "الهوسة" تشير الى قصة كانت مشهورة في زمانها، وهي عن سماك يدعى حميد (بالتصغير وتشديد الياء) القى شبكته في النهر، فما لبث ان شعر بجسم ثقيل فيها، وتخيل فرحا انه اصطاد صيدا ثمينا، ولعله من سمك "الكطان"، ولكن فرحته لم تدم حين اكتشف ان الشبكة اصطادت حجرا كبيرا. ويشبه قائل "الهوسة" نفسه بـ "حميد" الذي لم تطل فرحته، ومغزاها واضح ودلالتها عميقة.

ولما سمع الناس ان الشيخ ضاري او رجاله قتلوا "ليجمان" الذي كان قد اصبح اسطورة من اساطير الصحراء في قسوته وبطشه، خرجت الجموع "تهوس" مكبرة هذا العمل الذي قضى على احد اعمدة الاستعمار، متخيلة وقعه في انكلترة.

"هز لندن ضاري وبجاها" (بجاها: ابكاها) ولعل من أبرع (الهوسات) التي انتشرت خلال ثورة العشرين، واكثرها دلالة على الذكاء الفطري الحاد، والنكتة اللاذعة هي تلك التي ارتجلها احدهم حين شاهدت العشائر في منطقة الرميثة طائرة حربية، وكانت اول طائرة يشاهدونها فتعجبوا لمرآها اشد العجب.

ولما فت في عضد الثوار، وتفرق شمل معظمهم، وبدأت سلطات الاحتلال اعمال الانتقام وتحصيل الغرامات التي فرضتها على العشائر الثائرة، ، توفي احد رؤسائها، فأخذ بعض رجاله يهوسون:

"بلشها ونام بسردابه"

اي انه بدأ الثورة، وشجعهم عليها، ولما آن اوان الغرامة، نام في سردابه، اي مرقده.

وهناك عدد كبير من الاهازيج او الهوسات الطريفة ذات المغازي السياسية والاجتماعية التي قيلت في مناسبات مختلفة ولا تزال ترن في اذني مثلا تلك التي اجتاحت شوارع بغداد، وترددت على السنة جماهيرها، يوم مقتل الملك غازي (وهي من نوع مختلف طبعا)

الله اكبر يا عرب

غازي انفكد (انفقد) من داره

واهتزت اركان السما

من صدمة السيارة... الخ..

ومن المؤسف ان هذه الاهازيج الوطنية والسياسية، وهي كثيرة لا تحصى، بقيت تتناقلها الافواه، ولكنها لم تصن بالتدوين، فنسي معظمها او كاد، ولم يبق منها الا ما علق بذاكرة بعض الذين ادركوا المناسبات التي قيلت فيها، او ما تناثر في بعض الصحف الصادرة في وقتها.

كما ان الباحثين في تاريخ العراق السياسي والاجتماعي اهملوا دراسة هذه الاهازيج والمناسبات التي اوحت بها، في حين انها مصدر ثمين وغزير في دراسة الظروف الاجتماعية والمشاعر السياسية والحالة النفسية العقلية للشعب في الاوقات التي ظهرت وانتشرت فيها. وحبذا لو قام احد الباحثين في التاريخ الاجتماعي بدراسة مستفيضة لهذه الاهازيج التي هي مظهر طريف وفريد من تراثنا الشعبي يعكس جوانب مهمة من تاريخنا الاجتماعي والسياسي.

عن كتاب صفحات من التاريخ القريب

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي : يونس الخطيب

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون